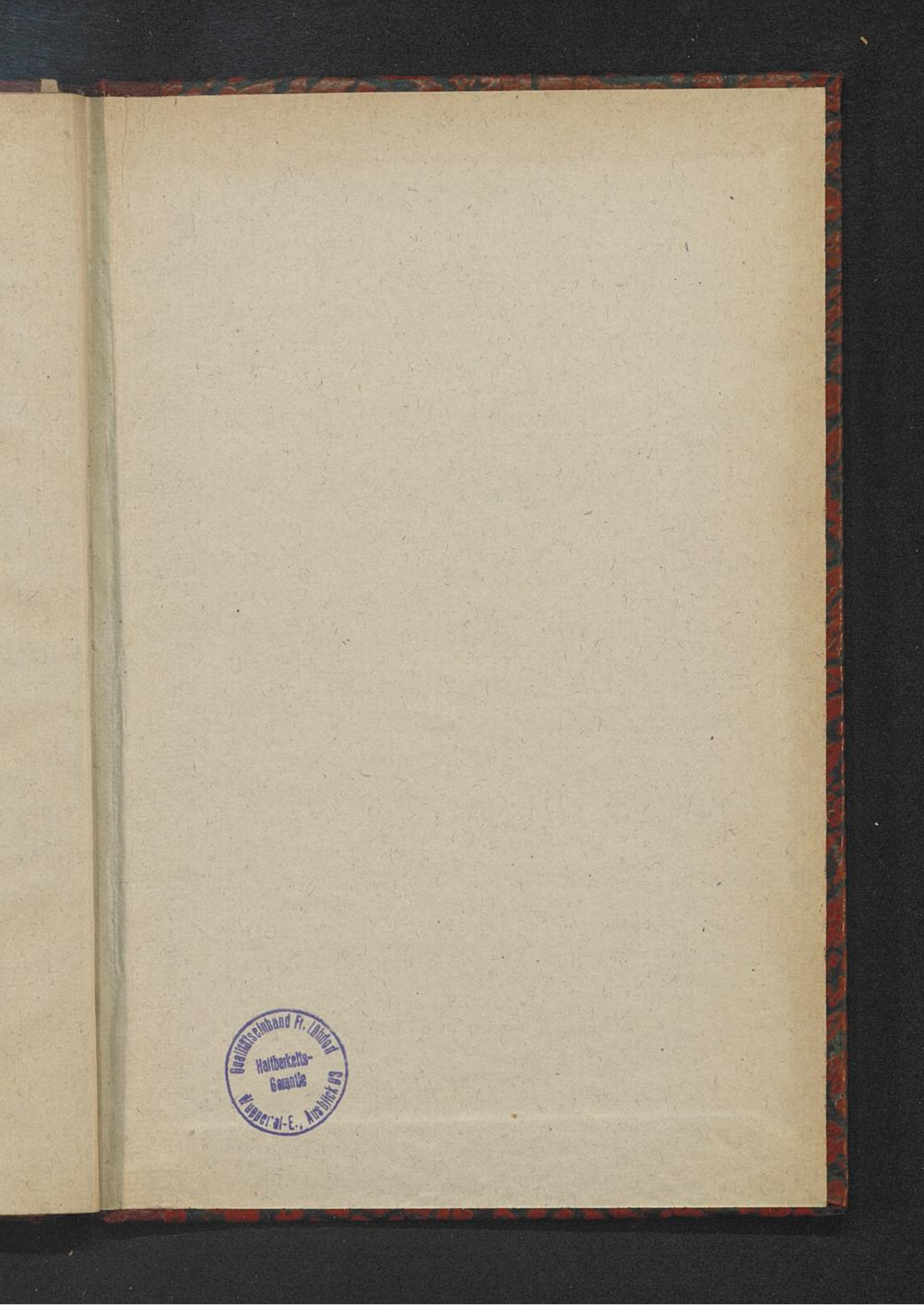
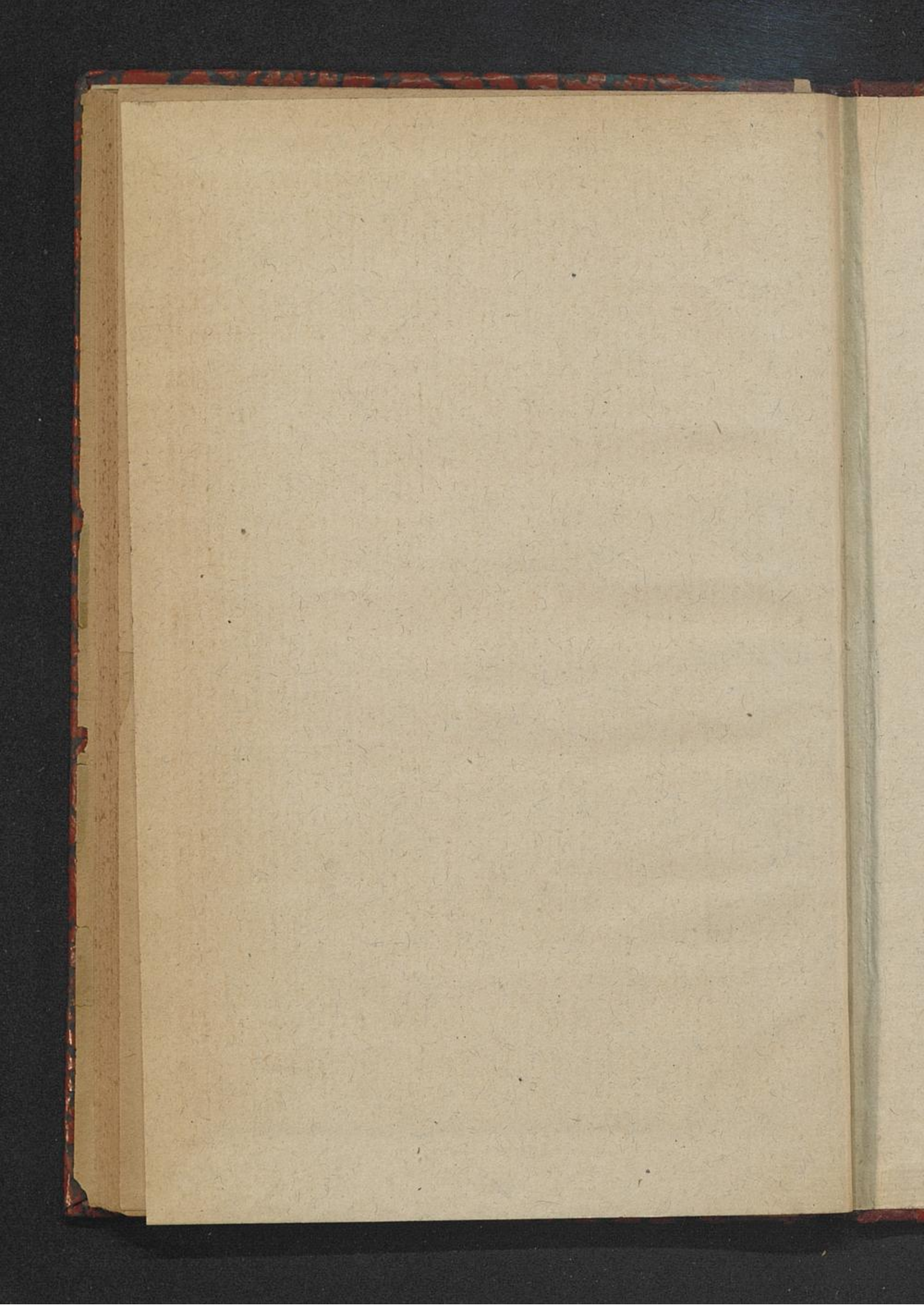
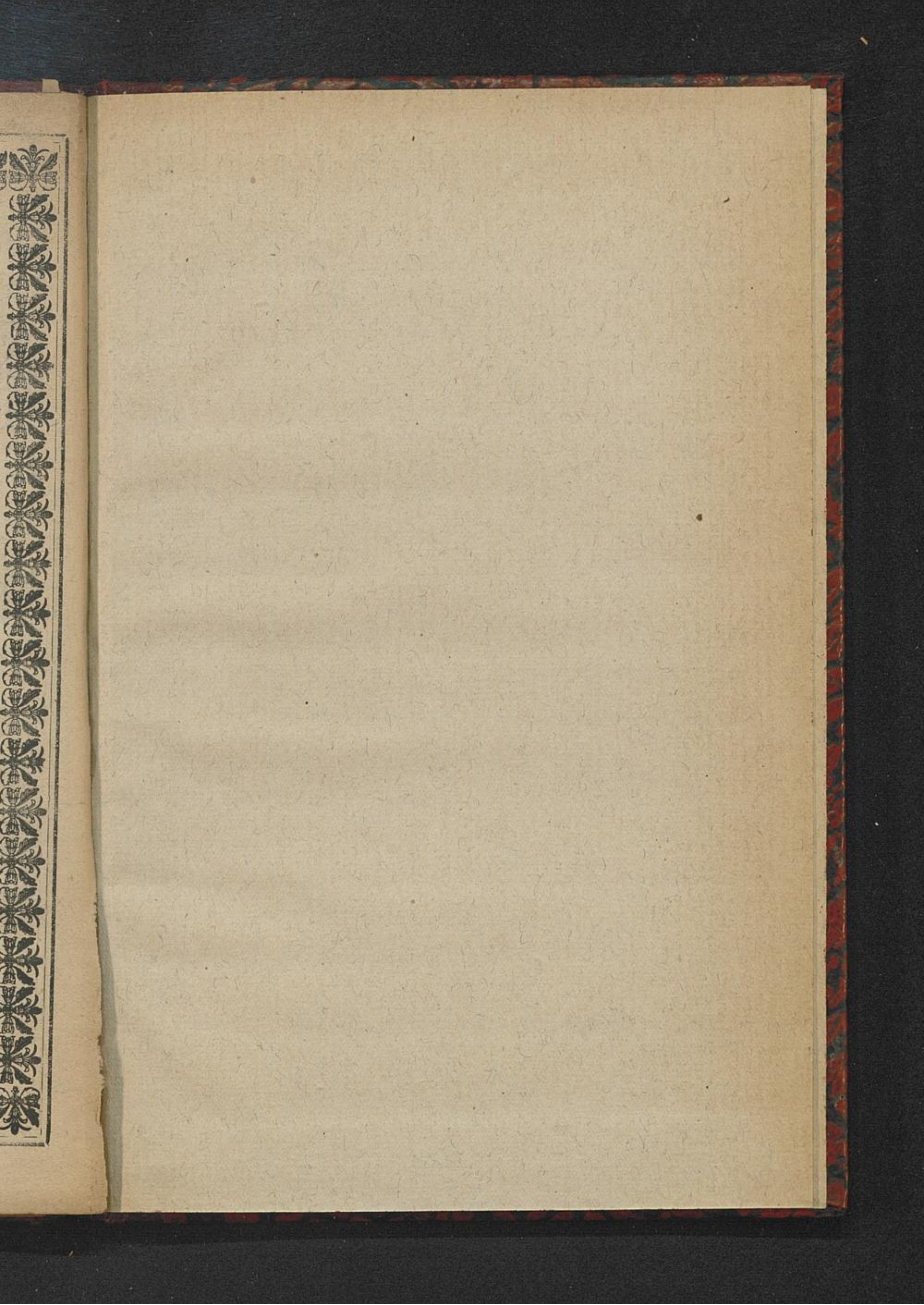
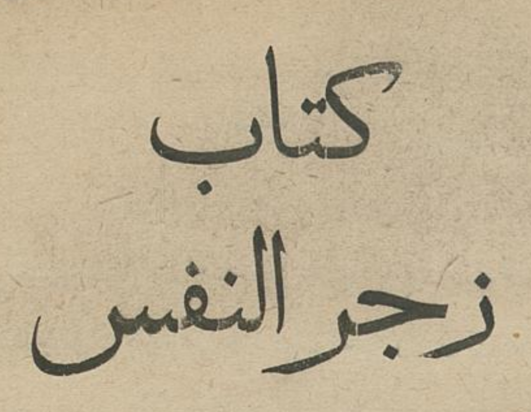



Qualitätseinband Fr. Löhdorf
Haltbarkeits-
Garantie
Wuppertal-E., Ausblick 93







كتاب زجر النفس

لهرمس الحكيم

نظر فيه وصححه وعلق حواشيه

الفقير اليه تعالى

الخوري فيليمون الكاتب احد رهبان دير المخلص

طبع في بيروت سنة ١٩٠٣

تمهيد

ليس من كتاب تضاربت فيه اقوال العلماء · وذهبت فيه كل مذهب مثل هذا الكتاب الذي لا يعرف بالتحقيق واضعه ولا زمان وضعه ولا مكانه ولا لغته · مع انه من الاهمية في مكان · تتلالأ من خلال سطوره انوار حكمة الاولين · وتوفيقهم العقل على امور الدين · وزجرهم النفس بمناهي العقل عن سفاسف الدنيا · لتسلك في جادة الحق وراء حقائق الاخرى

وما اتصل الينا من اهم نسخه :

نسخة رومية وجدت في مكتبة الفاتيكان احضرها السمعاني من الشرق فيما احضره يُنسب فيها الكتاب لهرمس الحكيم الفاضل

ونسخة لبسيك من مدن المانيا وهي اقدم نسخة كتبت بالخط الكوفي ونقلت الى الالمانية

ونسخة اوبسال من مدن الدانمرك معجمة يظهر ان ناسخها لم يكن يفهم ما يكتب وهي مبتورة

ونسخة بونه من مدن سويسرا في مكتبة الاكاذيمية اتي بها من الشرق المعلم شلر وهي مبتورة وفيها ايضاً نسخة اخرى تامة مكتوبة بالسريانية لا يعرف زمان نسخها

ونسخة باريس في المكتبة العمومية ترتقي الى الجيل الخامس عشر كتبها المعلم ذوتمبرغ [1]

ونسخة ليون نسخت في القسطنطينية سنة ١٦٥٤ يُنسب فيها الكتاب لافلاطون

ونسخة المطران يوسف داود المثلث الرحمات نسخها اذ كان قساً وقدمها لمكتبة بربغندا مع ما قدمه ينسب فيها الكتاب لارسطاطاليس نسخها الاب قسطنطين الباشا · وقابلها على نسخة وجدت في صيدنايا وعلى اخرى وجدت مع احد الرهبان المخلصيين

ونسخة بغداد وجدتها في مكتبة دير المخلص منذ تسع سنوات

ونسخة صور وجدتها فيها منذ سبع سنوات بين كتب احد المتطببين وهي اضبط واسد من اختها البغدادية

وقد عني المستشرق اوتو برَدَنهوير بطبعه في مدينة بونه سنة ١٨٧٣ مع ترجمته اللاتينية بعد ان قابله على السبع النسخ الاولى وذكر في حواشيها ما اختلفت فيه النسخ ومع كل ذلك فيها اغلاط عديدة لان النسخ كلها يكثر فيها الخطأ والتقديم والتأخير وما شابه ذلك · فان نسخة بونه الثانية مثلاً تجعل الثلاثة والاربعة الفصول فصلاً واحداً ثم تاتي بفصل في غاية الايجاز · وغيرها تتداخل فصوله الواحد في الآخر وهذا مما سبب فقد عنوان الفصول

وعدا ما تحتوي هذه النسخ من الاختلاف والتراكيب الركيكة

(١) هو مستشرق افرنسي وضع برنامج مكتبة باريس

والمعاني المشوشة والالفاظ الغريبة وتداخل الفصول فانها تختلف ايضاً في عنوان الكتاب فبعضها يسميه كتاب زجر النفس لهرمس المثلث الحكمة والآخر كتاب معاذلة النفس لارسطاطاليس وهذا كتاب معاتبة النفس لافلاطون وغير ذلك

وادعى بعضهم ان مؤلفه مسلم بحجة ان بعض النسخ تذكر البسملة المعروفة عند المسلمين . وقال الاخر انه مسيحي بالحجة نفسها لابتدائه في بعض النسخ بما اعتاده المسيحيون في صدور كتبهم . وقال الآخر انه وضع في اللغة اليونانية في مصر مستنداً على اسماء هؤلاء الفلاسفة وان هرمس هو مصري . وقالت العرب انه تأليف عربي لاسلوبه العربي ولعدم وجود اصل له يوناني او غيره حتى ولا احد من الاعاجم اتى بذكره . واما كتاب العرب فان كثيرين ذكروه كابي البركات في مصباح الظلمة وايضاح الخدمة وصاحب كشف الظنون وغيره مما يدل انه وضع قبل القرن العاشر ولكنهم لم ينسبوه لمؤلفٍ عربي بل اكثرهم نسبه لهرمس المثلث الحكمة وعللوه بان العرب تابعوا بعض الاحيان خطة اليونان في نسبة تاليفهم الحكمية لهرمس الذي ألهوه واوقفوه محامي العلوم والحكمة

ومهما يكن الامر فان تسابق كل امةٍ في نسبته اليها والاستئثار به دون سواها مما يدلّ على قدر الكتاب واهميته وشدة اعتباره عند كل منها

وقد كانت النفس تنزع الى استكشاف حقيقة بعض نسخه حتى وقعت اليّ عفواً في بيروت في هذه الايام ايام العطلة المدرسية فانتهزت الفرصة الوجيزة واستخلصت من جميع هذه النسخ البالغة اثنتي

عشرة نسخة نسخةً اسدّ واضبط واشكل باصلهـا · وقد علقت عليها شرحاً عند مسيس الحاجة وحواشي التقطت فرائدها من كتب القوم (١)

وكل من عنده اطلاع على هذا الكتاب ونسخه الغاصة بالاغلاط الفاحشة والاختلافات التي يضيع في مجاهلها فكر المتأمـل الحائر اذ يراها نكرة لاتتعرف · فلا يندّعنه اذ ذاك بل يجزم بوعورة المشروع وصعوبته ويحكم انه لاسهل على الحائك حياكة ثوب جديد من رتق ثوبٍ بالٍ كثر فيه الفتق حتى لم تبق فيه لحمة على سدى · فلاحمته قدر الامكان وبذلت فيه جهد المستطاع · وانما ذكرت ماذكرت لكي لااحرم من جانب المعذرة نصيرًا · ولااعدم من عفو الكرام ظهيرًا · والحمد لله اولاً واخيرًا

(١) ككليات ابي البقآء وتعريفات الجرجاني وغيرهما



كتاب

زجر النفس (١)

لهرمس الحكيم

وهو معاتبة النفس · وزجرها عن الامور السافلة · وحثها على طلب ما يلائمها ويشاكلها من الامور العُلوية (٢) وقسرها (٣) على الرجوع عما يؤذيها ويوكفها (٤) وحضّها على ما فيه استقامتها وصلاحها · وقد اوضح الحكيم الدلائل والبراهين على ما شرحه من ذلك · ولم يقتصر على بسيط تفسير (٥) المعنى بل قد اغرق (٦) في كشفه لكل احدٍ · ليس بتنميق اللفظ بل بما يقوم في العقل · ويقبله كل ذي لبٍ (٧) صحيح · اذ كان

---

(١) الزجر : الامر بالمعروف والنهي عن المنكر والمنع عما لا يليق والدعوة الى الحق · والنفس هي الشيء الذي يشير اليه كل واحدٍ بقوله انا · وهى الجوهر اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الارادية · وهي مجرّدة عن المادة قائمة بنفسها غير متحيزة مشتبكة بالبدن اشتباك الماء بالعود الاخضر ومتعلقة به للتدبير والتحريك قال افلاطون وقوم من الاقدمين انها قديمة · وقال ارسطو واتباعه انها حادثة · وهو الصواب (٢) العلوية اى الرفيعة الشريفة (٣) القسر : الاكراه والقهر (٤) يوكفها اي يوقعها في الاثم (٥) التفسير : الكشف والاظهار يقول ليس ايضاحه البراهين والدلائل بتفسير بسيط بل بتحققها والجأ في كبد الحقيقة وباثباتها بنتائج صادقة بضروب الامثال (٦) اغرق اي بالغ فيه والاغراق افراط وصف الشيء بالممكن القريب وقوعه عادة وهو فوق المبالغة (٧) اللب هو العقل الخالص من الشوائب او هو ما ذكى من العقل فكل لب عقل ولا يُعكس

ذلك مما يردع عن الانحطاط في الشغف(١) بهذه الدنيا الفانية . والتمسك بحبال غرورها . ويرشد الى عمل الخير والاكثار منه . مما تقرب به من خالقها . وتزلف لديه . فنشكر نعمته التي لا تزول ولا انقضاء لمدتها . شكرًا مستمرًّا(٢)

﴿ الفصل الاول ﴾

يا نفس تصوري (٣) وتمثلي (٤) ما انا مورده لك من المعاني العقلية الموجودة وجودًا دائمًا . فما تصورته فقد عقلته واقتنيته وتيقنته . كتيقنك ان الحي جنس لنوع (٥) الانسان . وان المتنفس جنس لنوع الحي وان الجسم جنس لنوع المتنفس . وان الجوهر الاقصى(٦) جنس لنوع الجسم . وكتيقنك ايضًا ان المستوي غير المعوج . وان الكل اعظم من جزءه .

---

(١) الشغف اقصى الحب (٢) مستمرًّا اي دائمًا وثابتًا (٣) التصور حصول صورة الشيء في العقل . وهو ادراك الماهية بدون الحكم عليها بنفي او اثبات . وبهذا يختلف التصور عن التصديق الذي هو ادراك الماهية مع الحكم عليها

(٤) اي تصوري مثاله واستعملي التمثيل فيكون هنا التمثل بمعنى التمثيل والتمثيل اثبات حكم في جزئي لثبوته في جزئي آخر لمعنى مشترك بينهما كقولك العالم مؤلف فهو حادث كالبيت (الذي هو حادث لانه مؤلف وهذا التاليف موجود في العالم فهو ايضًا حادث (٥) الجنس اسم دال على كثيرين . وفي عرف المناطقة كلي مقول علي كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما هو من حيث كذلك . والنوع اسم دال على كثيرين متفقين بالحقائق مختلفين بالاشخاص في جواب ما هو . فالنوع هو نفس ما تحته من الجزئيات الذاتية له (اي داخلاً فيها) كالانسان فانه نفس ماهية زيد وعمرو وبكر وغيره من جزئياته وهي لا تزيد على الانسان

(٦) الاقصى اي الاعلى الذي ما ليس فوقه جوهر

وان الماء يروي من العطش · وانه بارد رطب بالطبع · وان النار تحرق وتضيء (١) وانها حارة يابسة بالطبع (٢) وكل ما قد عقلته وشاهدته وشافهته (٣) في عالم (٤) العقل وعالم الحس · وما خفي عليكِ يا نفس مما انا مبينه لكِ فاستعملي فيه التمثيل العقلي المتقن الصحيح البريء من الاختلاط والاختلاف · فانه سيدلكِ ظاهر ماشاهدتهِ على باطن ماغاب عنكِ · كما استدل الناظر الى الصورة الممثلة في الحائط على وجود المصور لتلك الصورة · وكما استدل بما عاين من حركات يده وسرائر (٥) تخطيطها وتشكيلها (٦) على لطائف ما كان قائماً في فكره ونفسه (٧) وفي الجملة يانفس

(١) وفي بعض النسخ وتنضج (٢) فكأنه يقول ان ما اورده لكِ ايتها النفس في هذا الكتاب من المعاني العقلية الموجودة وجوداً دائماً اذا حصلت صورها في عقلك (وهذا هو فعل العقل الاول اي التصور) واستعملت فيه التمثيل الصادق (اي الفعل الثاني وهو التصديق) فحينئذٍ تدركين ماهيتها وتحكمين بضرورتها لكِ وتجزمين بافادتها تهذيبك (وهو الانتقال الفكري) فتحرصين عليها وتقتنيها كما تقتني مانيقنت صدقه من البديهات (الاوليات) التي ذكرتها لكِ مما تحققته في عالم العقل وعالم الحس اي من المعقولات والمحسوسات

(٣) شافهته اي دانيته واقتربت منه (٤) العالم عبارة عما يُعلم به الشيء اي يقع العلم به ويحصل كالخاتم اسم لما يختم به والقالب لما يقلب به واصطلاحاً عبارة عن كل ما سوى الباري تعالى من الموجودات لانه يعلم به الله تعالى من حيث اسماؤه وصفاته فالعالم هو الخلق كله · وكل صنف من اصنافه (اي اصناف الخلق) هو عالم (٥) سرائر جمع سريرة وهي السر الذي يُكتم (٦) اي تصويرها (٧) وكذلك انتِ يانفس استدلي بما تعاينين من حركات يد المبدع الحكيم في هذا العالم العظيم فانظري الى صور السماء واشكال الحيوان واصناف المبروآت واستدلي ايضاً بما تعاينين من حركات نفسك وافعالها على لطائف ما هو قائم في العقل الالهي البديع المعالي الرفيع الصفات ذي الحكمة السامية الازلية والقدرة المدركة والجود غير

فانه يستعمل التمثيل في كل الاشياء بالآثار الموجودة عند غيبة الموثرين لها · ويستعمل التمثيل في الاعتبار والتعجب مما قد ورد ومما هو وارد لا محالة بضروب الامثال على غائب الاشياء وشاهدها · فاستعملي يا نفس التصور والتمثيل في كل الاشياء الموجودة عقلاً وحساً · واعلمي ان الشيء الذاتي بالحقيقة الاصلي النوري التام · هو المفيد الحكمة اللطيفة والتمييزات الشريفة والحياة الدائمة وسائر الاشياء التى هي جزئيات له لا اجزاء وهو كلي لها لا كل (١) · فاعتبري ذلك يا نفس وتيقظي واحذري الغفلة والتواني واستعملي التهذب والحذر من اوساخ الطبيعة · واستعيني على ذلك بالخضوع والرغبة الى ينبوع الخير ومظهره · واصل العقل ومبدعه ومفيد الحياة والحكمة والجود التام والرحمة تحيَيْ بذلك يا نفس وتسعدي يا نفس ان مبدع الاشياء ومبدئها (٢) ومنشئها جل جلاله وتقدست (٣) اسماؤه · ابدعكِ وجعلكِ ذات تصور وتمثل (٤) فاما التصور فتصوركِ الشيء على حقيقة ما ابدعه مبدعه · واما التمثل فتمثلك ما خفي عنكِ

المتناهي والحياة الدائمة (١) الكل اسم لجملة مركبة من اجزاء محصورة · والمنسوب الى الكل كلي · والمنسوب الى الجزء جزئي · والجزء ما يتركب الشيء منه ومن غيره كما ان الحيوان جزء زيد لان زيداً مركب من الحيوان وغيره وهو الناطق · وعلى هذا يكون زيد كلاً والحيوان جزءاً · فان نسب الحيوان الى زيد يكون الحيوان كلياً · وان نسب زيد الى الحيوان يكون زيد جزئياً (٢) خالقها (٣) تقديس الله تعالى اثبات ما يليق بجلاله « بالمعارف والاعتقادات » كما ان التسبيح تنزيه الله تعالى ونفي ما لا يليق « بالطاعات والعبادات » (٤) اي وهبك نفساً تستحضر صور الاشياء الحاضرة وتصور مثال الاشياء الغائبة وتستعمل فيها التمثيل

معناه من عالم العقل بما شاهدته في عالم الحس مثلاً بمثل(١) ومعنى بمعنى(٢) كما تدل الصورة المطبوعة في الشمع على حقيقتها في الطابع وكما تدل الصورة الممثلة في الطابع على معنى حقيقتها في نفس ممثلها ومصوّرها. وكما يؤثر الماء في الزمل والطين معانى حركاته وتموجه. فاكتفي يا نفس بحقيقة ما اوردته لكِ واعلمي ان كل ما انتِ مشاهدة له في عالم الكون والفساد من الصور والاشكال هو تمثيل وتشكيل (٣) معانٍ هي في الحقيقة في عالم العقل غير زائلة ولا بائدة (٤) وانما يصور العقل ذاته بذاته في الهيولى ثم ينظر بذاته الى معانى ذاته وصورها فيلتذ بذلك اعجاباً منه بذاته. اذ اللذة(٥) العقلية هي مما يناله العقل من ذاته لذاته لا لشيء خارج عنه ولا لعرض عارضٍ بل من ذاته لذاته وهذه هي لذة الحق الدائمة الابدية

---

(١) المثل باسكان المثلثة بمعني الشبه والنظير والصفة (٢) المعنى يقال على ما يقابل اللفظ سواء كان عيناً او عرضاً وعلى ما يقابل العين الذي يقوم بنفسه يقال هذا معنى اي ليس بعين (٣) شكّل الشيء تشكيلاً صوّره (٤) وهنا يوجد في بعض النسخ « وما في العالم الروحاني فملاحظته بالمشاهدة العقلية فيجب على كل روحاني وجسماني عند بلوغه الكون الجزئى ان يتيقن بالعقل انه حقيقة غير زائلة » (٥) اللذة ادراك الملائم من حيث انه ملائم كطعم الحلاوة عند حاسة الذوق والنور عند البصر وحضور المرجو عند القوة الوهمية والامور الماضية عند القوة الحافظة تلتذ بتذكرها وقيّد الحيثية « بقوله من حيث انه ملائم » للاحتراز عن ادراك الملائم لا من حيث ملائمته فانه ليس بلذة كالدواء النافع المرّ فانه ملائم من حيث انه نافع فيكون لذة لا من حيث انه مر

يا نفس تيقني (١) واقتني معرفة الاشياء بحقيقتها (٢) وماهيتهـا ولا تحفلي بمعرفة كيفيتها وكميتها (٣) لان المطلبين الاولين بسيطان ازليان لا وسيط بين النفس وبينهما · والمطلبين الآخرين مركبان مكانياًن زمانيان · واعلمي يا نفس ان عالم التركيب وان كان محمولاً في ذاتك سينفصل عنك عند مفارقتك الحس فخذى علم البسيط وذري علم المركب

---

(١) اليقين الاعتقاد الجازم الثابت « المطابق الواقع » وهو عبارة عن العلم المستقر في القلب الذي لا يقبل الانهدام من يقن الماء في الحوض اذا استقرَّ ودام وهو من صفة العلم فوق المعرفة والدراية واخواتها يقال علم يقين ولا يقال معرفـة يقين (٢) اي بتحقق وجودها العيني من حيث مرتبته الذاتية (٣) الماهية نسبة الى ما هو جعلت الكلمتان واحدة وهي مايجاب به عن السؤال بمعنى اي جنس · وحددها صاحب التعريفات بانها ما به الشيء هو هو وقال ابو البقاء ان هذا التحديد غير مرضى واني بثبت على قوله ولا محل لذكره هنا فالماهية عنده تمام ما يحمل على الشيء حمل مواطاة · وهي اعم من الحقيقة لان الحقيقة لا تستعمل الا في الموجودات والماهية تستعمل في الموجودات والمعدومات · والماهية تطلق غالبًا على الامر المتعقل كالمتعقل من الانسان وهو الحيوان الناطق · واعلم ان الامر المتعقل من حيث انه مقول في جواب ما هو يسمى ماهية · ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقـة · ومن حيث امتيازه عن الاغيار يسمى · هويـة · ومن حيث حمل اللوازم له ذاتًا ومن حيث يستنبط من اللفظ يسمى · دليلاً · ومن حيث انه محل الحوادث يسمى جوهرًا *

والكيفية اسم لما يجاب به عن السوآل بكيف « لانها نسبة الى كيف » والكمية اسم لما يجاب به عن كم « وهي نسبة الى كم » فالكيف هيئـة قارة في الشيء لايقتضي قسمةً ولا نسبةً لذاته والكم عرض يقتضي الانقسام لذاته وقد يراد بالكيفية معنى الصفة والهيئة والعرض وقالوا انها عبارة عن الهيئات والصور والاحوال

يا نفس هذا جرم الارض وهو اثقل الاشياء كلها . وذلك لرسوبه تحت سائر(١) الاشياء وطفو(٢) الاشياء عليه . ولذلك صار هذا الجرم في الغاية القصوى من الكثافة والكدر وعدم النور والحياة . ثم يتلو هذا الجرم من الاشياء جرم الماء وهو الطف واصفى واشرف وانور واقرب الى الحياة . ثم يتلو جرم الماء جرم الهواء وهو الطف من الماء . ثم جرم النار الذي هو الطف العناصر الاربعة واشرفها واشهرها نوراً . ثم يتلو جرم النار جرم الفلك الذى هو صفو ما تحته والمخصوص بالشرف على كل الاجرام للطافته وشفافيته(٣) وشدة انواره وحسن نظامه وترتيبه وقربه من الحياة ومجاورته الاشياء الشريفة العاقلة . وانه متشكل بسيد الاشكال واتمها واصحها الذى هو الشكل الكروي المستديروان كل ما يحتوي عليه متشكل بشكله الكروي على الترتيب الذي ينتهي الى كرة الارض . ثم التالي لجرم الفلك الذي هو اقصى الاجرام كلها هو جوهر النفس الروحانية

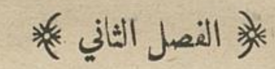
وانما النفس جوهر روحانى فوق الافلاك لانها من نفخة الخالق المعطية الافلاك الحركة النظامية . والانوار الصافية الشريفة . التي هي الطف ما احاطت به من الاشياء واحتوت عليه . وذلك ان ما تحتوي عليه الاشياء اجسام واجرام وهي لا جسم البتة . وان كل الاشياء مما

---

(١) سائر هي بمعنى الباقي قال اعرابي لاعرابية ارادت تعطيره « عطري بطني وسائري ذري » اراد ان تطعمه كما اراد الآخر القائل . « فقلت اطبخوا لي جبة وقميصاً » (٢) طفا الشيء فوق الماء طفواً وطفوًّا اذا علا ولم يرسب
(٣) نسبة الى الشفاف وهو ما لا يمنع الشعاع من النفوذ كالزجاج ونحوه

دونها لا حياة لها الا بها . لانها ذات الفكر والارادة والتمييز . فما واصلته اظهرت فيه معاني ذاتها (١) على حقيقة قبوله فصار حياً . وما لم تواصله لم يوجد له فكر ولا ارادة ولا حركة ولا تمييز . والذي فقد شيئاً من هذه الاشياء فهو ميت لا محالة (٢)

والشيء التالي لجوهر النفس والحاوي له هو العقل . وبحق هو الطف الموجودات واشرفها واعلاها منزلةً وانه المرتب تحت الافق الاعلى الازلي تبارك وتعالى (٣) والآخذ عنه بغير وسيط والمفيد لجميع ما تحته الشرف والنور والحياة . وانه الترجمان الاعظم والحاجب الاقرب . فتأملي يا نفس هذا الترتيب وتيقنيه واعتقديه فانه هيئة الموجودات ونظامها وترتيبها



﴿ الفصل الثاني ﴾

يا نفس لا تذمي الدنيا وتقولي هي دار خديعة ومصيدة وغرور . فانها ليست كذلك الا عند ذوي العقول الناقصة ومن يعرض له الجهل والنسيان . ولو كانت دار خديعة بالحقيقة لكان الانسان منذ مبدء ظهوره

---

(١) وفي بعض النسخ معاني ذاته (٢) الميْت مخففة هو الذي مات والميّت والمائت الذي لم يمت قال الشاعر

ومن يك ذا روح فذلك ميّت   وما الميت الا من الى القبر يُحملُ

(٣) الافق الاعلى قال صاحب التعريفات : هي نهاية مقام الروح وهي حضرة الالهية

فيها الى وقت خروجه منها · لا يناله منها الا نعيم ولذات وسرور · ثم تأتيه المساءة حينئذ بغتة · فتزيله عن ذلك النعيم · ويستحيل به ما كان فيه الى خلاف ذلك · وليس الامر فيها كذلك · بل انما نرى الانسان ينشأ في هذه الدنيا ويربو باحوال مختلفة لا نظام لها · يوماً محزوناً ويوماً مسروراً يوماً متلذذاً ويوماً متوجعاً متألماً · والشيء اذا اظهر لك جميع ما في طبعه فقد انصفك (١) ونصح لك · وانما المخادع من كان في طبعه الخير والشر واظهر لك الخير وابطن الشر لوقت الفرصة والمكنة منك · وليس احد نال من هذه الدنيا فرحة الا واعقبته غصة والماً · فاذاً ليست هذه المخادعة من قبل الدنيا · وانما المخادعة من قبل الانسان لنفسه · وذلك ان الانسان الناقص العقل هو المخادع نفسه والمهلك لها لا الدنيا · لان الدنيا اظهرت له جميع ما في طبعها من نعيم وبؤس · فاغتبط الانسان الضعيف العقل بنعيمها واعتقده دائماً · ونسي بؤسها واهمله ثم يقول خدعتني الدنيا · واي خداع خدعته الدنيا ؟ الا انه هو المخادع نفسه والمهلك لها لا الدنيا

يا نفس لا تكوننّ اخلاقك (٢) في هذه الدنيا · كاخلاق الصبيّ

---

(١) من نفسه (٢) الخلق بضمة او ضمتين السجية والطبع والمروءه والدين: وبالفتح المخلوق ايضاً وخص المفتوح بالهيئات والاشكال والصور المدركة بالبصر والمضموم بالقوى والسجيات المدركة بالبصيرة فالخُلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الافعال بسهولة ويسرٍ من غير حاجة الى فكر وروية · فان كانت الافعال جميلةً سميت خلقاً حسناً وان قبيحة سميت خلقاً سيئاً · وقلنا راسخة حذراً من النادر والعارض فمن تكلف بذل المال بحالة عارضة لا يقال خلقه السخاء مالم يثبت ذلك في نفسه وكذا من تكلف السكوت عند الغضب بجهدٍ وروية لا يقال خلقه الحلم

الذى لا عقل له . ان اطعم ورفق به ضحك ورضي . وان شُدِّدَ (١) عليه بكى وغضب . فهو مايكون ضاحكاً حتى يكون باكيا . ومايكون راضياً حتى يكون غاضبا . وليست هذه اخلاق العقل الوحيد الرضية . بل هي اخلاق مختلفة مشتركة مذمومة

يا نفس انما رتبت الدنيا على هذه المعاني المختلفة التي هي خير وشر ونعيم وبؤس وشدة ورخاء تنبيهاً للنفس وايقاظاً لها ومَثُلاتٍ (٢) تعمل عليها فتكتسب بذلك العقل المضيء النير والعلم التام الذى هو الحكمة والمعرفة بحقائق الاشياء . وانما وردت اليها النفس لتعلم وتخبر (٣) ومن ورد محلاً من المحال ليعلمه ويخبر كنهه ويعرف حاله ثم ترك العلم والبحث والاختبار وتشاغل بالنعيم والتلذذ . فقد ضيع مطلبه ونسي اربه الذي قصد له . وانما شرحت لكِ يا نفس هذا الشرح لكي لا تكوني في رتبة الذامين للدنيا عند سخطهم عليها . والمادحين لها عند رضاهم عنها . وليسوا هم في الحقيقة ذامين ولا مادحين بل تائهون ضالون قد اضاعوا مطالبهم ونسوا اربهم وذهب استعمالهم لها (٤) باطلاً غير متحققين علماً ولا مكتسبين قنية

يا نفس انما هذه الدنيا دار علم وبحث واختبار للمتأملين . فتأملي يا نفس جميع معانيها وصورها واشكالها المحسوسة البائدة الاعراض الزائلة

ينتج منه ان الخلق ليس هو عبارة عن الفعل فرب رجل خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال او لمانع ورب رجل خلقه البخل وهو يبذل لباعث او رئاء (١) شدد عليه في الامر ضيق عليه (٢) المثلات « العِبَر يُعتبر بها » وهي ما اصاب السلف من العذاب (٣) وتخبر اي لتبلو وتسبر (٤) وفي بعض النسخ « آلاتهم » مكان لها

الاشخاص · واعلمي انها انما هي تمثيل الصور الخفية وتشكيل الحقيقة الدائمة الابدية · وبالجملة يا نفس ليس في عالم العقل نوع الا وشكله (١) ظاهر في جرَيان (٢) الطبيعة · وكذلك كل ما هو موجود في عالم الكون انما هو انواع تمثيل · فلذته الكاذبة الزائلة تدل على اللذات الصادقة الدائمة · وصوره المنحلة الهالكة تدل على الصور الباقية الثابتة · وان اختلاف جميع ما في الحس وزواله · يدل على اتفاق جميع ما في العقل وبقائه وثباته

فما دمتِ يا نفس في عالم الطبيعة فلا تطلبي مني لذة · ولا تتشاغلي بمحسوس عن العلم والتصور والتمثل والبحث والاستكشاف وجميع ماقصدت له من مطالبكِ ومآربكِ لتستحق العودة والرجوع الى ذلك العالم (٣) · فاذا تشوفت (٤) يانفس الى اللذات والسرور الدائم · فانزعي عنكِ لباسكِ القذر وتهذبي من اوزار جسدك وانقي (٥) من الاشياء المخالفة لجوهرك ثم صيري الى عالم اللذات الحقيقية والسرور الدائم والبسي حللك الذاتية وتصوَّري صورك الجوهرية الدائمة الباقية · التي انتِ مشاهدة لتشكيلها وتمثيل انواعها وانتِ في عالم الكون والفساد

فتيقني يا نفس كل ما قد شرحته لكِ واعقليه · واعلمي يا نفس ان مهلكات النفوس ثلاثة اجناس اولها الشرك وجميع انواعه · والظلم وجميع

---

(١) الشكل الشبه والمثل (٢) وقوع امور الطبيعة وحدوثها (٣) وفي بعض النسخ الى اكتساب العلم (٤) تشوف الى الخبر تطلع اليه ونظر (٥) نقي الشيء ينقى نظف وحسن وخلص وفي بعض النسخ توقي من الوقاية

انواعه . والتلذذ وجميع انواعه . ولكل هذه الاجناس وانواعها اصل واحد . وهو حب الدنيا فتحرزي (١) يا نفس من الدنيا . وأعرضي عنها وانظري اليها بعين الخائف الوجل منها . كالطائر الذى عرف الفخ المنصوب وفطن له فانحرف عنه وحذره

واعلمي يا نفس ان تحرزكِ وهربك من جنس الشرك . يذهب بك الى رتبة التوحيد . وان تحرزك من جنس الظلم . يذهب بك الى رتبة النور والصفاء والتهذب والتمحُّص . وان تحرزكِ من جنس التلذذ . يذهب بك الى الراحة من مقاساة الخوف والحزن وعناء الجهل والفقر . فثقى يا نفس بحقيقة هذه المعاني وتيقني صحتها واعملي بها تحييَ وتسلمي من الهلكة

يا نفس تأملي حكمة مبدع الاشياء واعتبري بها . واعلمي ان الانسان لم يخلق لمعنى من المعاني الا للعلم والعمل بالعلم . وكذلك الثمرة الطيبة لم تخلق الا للأكل . وكما ان عنقود العنب يبدو وهو لا يصلح لشيءٍ مما يراد به . ثم ترد اليه المادة السائرة به الى حد الحموضة العادية (٢) فيكون حينئذٍ يصلح لبعض ما يراد به لا لكلّه . ثم ترد اليه المادة السائرة به الى حد الكمال في جميع المعاني التي يراد لها فيكمل حينئذٍ . وكذلك الانسان المحسوس يبدو الى عالمه . وهو لا يصلح لمعنى من المعاني التى تراد منه . ثم ترد اليه المادة السائرة به الى المعنى الذى يصلح به ان يكون متعلماً لا

(١) من حرز الرجل يحرز اذا كثر ورعه وتصوُّنه وتوقى (٢) وفي بعض النسخ العذبة عوض العادية

عالماً · فاذا ارتاض على هذه الرتبة وردت اليه المادة الكبرى الكاملة المكملة · فيصبح حينئذ عالماً عاملاً فيكمل حينئذٍ · وكذلك الانسان في الرحم يكون منياً ثم علقاً ثم مضغة(١) ثم ترد اليه القوة المصورة التي يمكن ان تصوره بتوسط الاجرام الالهية · فاذا صار بالقوة ذا عصبٍ وشهوةٍ · وردت اليه حينئذٍ القوة التامة المتمّمة التي هي عقل بالفعل فسارت به الى حد الكمال · وحينئذ يكون جامعاً لجميع اسبابه بالفعل بعد ان كان في الابتداء لا بالفعل ولا بالقوة فكان انتقل الى رتبة كان فيها بالقوة ثم ذهب من رتبة القوة الى رتبة الفعل والكمال · فصار حينئذٍ عاقلاً كاملاً مصوّراً متصوراً ممثلاً متمثلاً ·

يا نفس ان التأمل في هذه المعاني · دليل على لطف حكمة مبدع العالمين جل جلاله وتقدست اسماؤه

يا نفس ان المبدع جل اسمه · كالناطق الفائض ما عنده من المعاني والجواهر العقلية للمستمعين منه · وليس كل المستمعين يفهمون عن المتكلم · بل منهم من يحتاج الى ترجمان يؤدي اليه · ووسيط يتوسط بين الناطق والسامع وذلك لضعف السامع عن فهم القول · ومن هو كذلك فهو اعجمي لا يفهم حاجته الا بترجمان يفسر له حقيقة القول · فلا تكوني يا نفس من الجواهر المحتاجة الى الوسيط · فان الترجمان ربما خان في تعبير الكلام وغير القول وحرّفه · فاخرجي يا نفس من رتبة العجمة الى رتبة الفصاحة · واقتني يا نفس العلم قبل العمل · ومعرفة الثمرة قبل غرس الشجرة · لتتحقق

(١) بتصرف وجيز

القول قبل الفعل · والعلم قبل العمل · فان لك في ذلك راحة كبرى وفائدة عظمى ·

الفصل الثالث

يانفس ان الاعراض الحالة في الجواهر الكثيفة · عادمة الاتفاق · مائلة الى الاختلاف والمضادة · فتحذرى منها وانحرفي عنها · فهي المعنى الذى حذَّرته والخوف الذى خُوفته ·

يا نفس انت وحيدة وهي متكاثرة · انتِ متفقة وهي مختلفة · انتِ ناصحة وهي مخادعة · انتِ حق موجود وهي لا حقيقة لوجودها · انتِ خير دائم باقٍ · وهي زخارف وتمويه مستحيل فانٍ · فاعرضي يا نفس عنها · واحذرى استعبادها اياكِ وقطعها (١) لكِ وخذلانها اياكِ · فلا تخرجي يا نفس عن ذاتك الوحيدة الحقيقة الشريفة · ولا تبغي (٢) تكاثرها واختلافها ومحلها (٣) وخساستها وغدرها تضلي وتهلكي ·

يا نفس الى متى انت فقيرة هاربة من ضدٍّ الى ضدٍ · فتارة من الحر الى البرد · وتارة من البرد الى الحر · وتارة من الجوع الى الشبع · وتارة من الشبع الى الجوع · وكذلك انتِ في الاطعمة والروائح (٤) ان اسرفت (٥) عليكِ الحلاوة · افتقرت الى الملوحة · وان اسرفت عليك الملوحة · افتقرت الى العذوبة · وان اسرفت عليك العذوبة افتقرتِ الى الحموضة ·

(١) اي هجرها وعقّها (٢) لا تطلبي (٣) الكيد والخديعة (٤) جمع رائحة وهي النسيم المستنشق طيّباً كان او خبيثاً مما يدرك بحاسة الشم (٥) من السرَف وهو تجاوز الحد والاعتدال

وكذلك انتِ في جميع المشمومات· وجميع ما انتِ مشاهدة له في عالم الحس· فبينما انت فقيرة الى المقتنيات· فاذا وصلت اليها اكتسبت الخوف عليها ما دامت معكِ· فاذا فارقتكِ زال الخوف عنكِ واعقبكِ ذلك احزاناً وغموماً· فانزعي يا نفس هذا الشيء الذي انتِ مشاهدة به هذه الاشياء· والذي انتِ به مشاهدة لهذه الامراض والآلام· ولا ولا تأسفي لمفارقة الاحزان والهموم والخوف والفقر· ولا تكرهي مواصلة الغنى والامن والسرور· فانه من آثر الفقر على الغنى والخوف على الأمن والذل على العز· كان جاهلا ومن جهل فقد ضل ومن ضل فقد هلك·

يا نفس تيقني انكِ برزتِ من اصلٍ انتِ فرعه· وانّ الفرع وان جرى الى غاية في البعد عن اصله· فان بينه وبين اصله وصلة ورباطاً· وبهذه الصلة والرابطة يستمد كل فرعٍ من اصله· كالشجرة المثمرة فان الثمرة وان بعدت عن اصلها المبدي لها· فان بينه وبينها اتصالاً ذاتياً به يكون استمدادها منه· ولو عدمت ذلك الاتصال بان يقطع بينها قاطع مما هو سواها· لحالَ بين الاصل والفرع واوجب قطع المادة عن الفرع ففسد في الحال وتلف· فتصوري يا نفس هذا وتيقنيه واعلمي انك راجعة الى مبدئك الذي هو اصلك ونبعتك· فتهذبي من اوساخ الطبيعة واوزارها المبطّئة بكِ (١) عن سرعة الرجوع الى عالمكِ واصلكِ

يانفس هذا عالم الطبيعة· وهو محل الفقر والخوف والذل والحزن· وهذا عالم العقل· وهو محل الغنى والأمن والعز والسرور· وقد شاهدتهما

()يقال ما أبطأ بك وما بطّأ بك اي ما اخّرك

جميعاً وساكنتهما · فتخيّري على علمٍ وخبرةٍ · واعلمي انك لابئة في ايهما شئت غير مدفوعة ولا ممنوعة · واعلمي انه من الممتنع ان يكون الانسان فقيراً غنياً · خائفاً آمناً · عزيزاً ذليلاً · مسروراً حزيناً · وان كان هذا هكذا · فلا يمكن ان يجمع الانسان حب الدنيا وحب الآخرة بل ذلك من الممتنع اشد الامتناع (١)

يا نفس ان من نزع سلاحه وكتف (٢) نفسه واستسلم لعدوّه وجب اسره · ومن قاتل بسلاحه وحمى نفسه ولم يستسلم لعدوه وجب قتله (٣) واي نفس وردت الى عالم الطبيعة · فلا بدّ لها ان تسلك احدى هاتين الحالتين · اما القتل واما الاسر · فمن اختار الاسر · فقد اختار طول العذاب وهوان الاستعمال وذل العبوديه · ومن اختار القتل فقد مات عزيزاً وكان موته حياةً له واستراح من الاسر وهوانه وطول ذله ·

يا نفس متى نويتِ ترك الافعال الخسيسة الدنيئة فاقصدي نبعها واصلها واجتنبيه وهو حب الدنيا · ومتى نويت الافعال الشريفة ايضاً فاقصدي اصلها واغرسيه · وهو الزهد في الدنيا · وليكن من يفعل هذا

---

(١) يشبه قول الانجيل الطاهر عن الله والمال (٢) كتف نفسه شدّ يديه الى خلف كتفيه موثقاً بالكتاف (وكل النسخ قد تصحّفت عليها هذه اللفظة وجعلوها كفّ) (٣) يقول ان من نزع عنه اسلحته في ساحة الوغى وكتف نفسه واستسلم لعدوه ذليلاً عن طواعية نفسه فعدوه يرفق به ويبقي عليه ماسوراً لانه طلب الاسر لا القتال · واما من ينازل عدوه ويكافح عن نفسه · ويذود عن حوضه بسلاحه فان عدوه متى ظفر به يقتله للحال اما لانه سامه كفاحاً شديداً وجهاداً عظيماً واصلاه ناراً حامية · او لكي لا يعود الى مثل ذلك

براءة من النفاق والتمويه · والافراط والتفريط(١)

يا نفس لا يخرج بك شدة الحذر وافراطه الى حد الجبن فتعدمي الشجاعة وشرفها وتكتسبي الخساسة ودناءتها واعلمي ان كل شيء مستمد من غير ذاته فهو محتاج الى المادة(٢) وكل محتاج الى المادة فمادته متوالية له دائماً طول مدته المقسومة له (٣) فتيقني يا نفس هذا فان لك فيه راحة كبرى وفائدة عظمى

يا نفس تمسكي بالتدبير الجزئي على حسب الامكان · فان تدافعت بك الامور الى جهات التدبير الكلّي فارضي بذلك واطمئني اليه · يسقط عنك ثقل الاهتمام والتكلف · كرجل تكلف مصباحاً يستضيء به طول الليل من ظلمته · فلما طلعت الشمس استغنى عن المصباح وزال عنه ثقل التكلف ·

يا نفس لا تقترني بدنايا الامور وخسائسها · فتلزمك العادة بذلك · وتكتسبي طبعاً مخالفاً لطبعك · وتعدمي بالانصباب اليها الرجوع الى وطنك · واعلمي ان مبدع الاشياء جلّ وعلا هو اشرف الاشياء كلها فاقترني

---

(١) اي الزيادة والنقصان

(٢) مادة الشيء هي التي يحصل الشيء معها بالقوة · ولها اسماء باعتبارات فمن جهة توارد الصور المختلفة عليها (مادة) ومن جهة استعداده للصور (هيولى) · ومن جهة ان التركيب يبدأ منها (عنصر) ومن جهة ان التحليل ينتهي اليها (اسطقس)

(٣) هذا الاصل في اغلب النسخ وترجم الى اللاتيني هكذا

(واعلمي يا نفس ان كل شيء مادي محتاج للجوهر وكل محتاج لجوهر مادي محتاج للمادة وكل محتاج للمادة يطلب دائماً مدة تطابق طول المدة المنسوبة له)

بشريف الاشياء · لتقتربي من باريكِ بطريق المجانسة · واعلمي ان شرائف الاشياء مضافة[1] الى شرائفها وخسائس الاشياء منضافة الى خسائسها ·

يانفس تطالبين بالاستقرار وانت في عالم الكون · واي استقرار يوجد في عالم الكون ؟ فان الدف[2] ما دام على ظهر الماء لا قرار له ولا طمأنينة البتة · وان استقرَّ وقتاً مافانَّ ذلك بالعرض · ثم يعود الماء الى اضطرابه وتموجه · وانما يستقر الدف اذا اخرج من الماء واعيد الى الارض التي هي نبعته واصله المشاكلة له بالكثافة والثقل · فحينئذٍ يستقر به القرار · وكذلك النفس ما دامت في جريان الطبيعة · فلا قرار لها ولا راحة ولا طمانينة · لاتعابه اياها وخذلانه وقطعه لها · فاذا عادت النفس الى نبعها واصلها استقرت وظفرت بالراحة واستراحت من شقاء الغربة وذلها

الفصل الرابع

يا نفس ان عالم الطبيعة صفو وكدر · فتجرعي كدره قبل صفوه · فانه هكذا ينبغي ان تكون السياسة · واعلمي ان شرب الصفو بعد الكدر · خير من شرب الكدر بعد الصفو · فلا تغترّي بان في عالم الطبيعة صفواً يوجد · وان وجد صفو فليس هو بالحقيقة · لان ما لا دوام له لا صفو فيه · واي صفو هو وهو كدر كلي الكدر وثقل كلي الثقل · وانما ضربت لك ذلك مثلاً · فان اردت الشيء الصافي الهني فاطلبيه في غير عالم الكون والفساد · فانك ان طلبتهِ في معدنه وجدته وان طلبته في غير معدنه عدمته ·

(١) الاضافة حالة نسبية متكررة بحيث لا تعقل احدهما الا مع الاخرى كالابوة والبنوة (٢) وفي بعض النسخ الذق وغيرها الزورق

وان انتِ عدمتِ طلبك · وفاتكِ اربك · اقترنت بكِ الاحزان والفقر · واعقبك ذلك مرضاً يودي بكِ الى الموت من العيش العقلي والحياة الدائمة

يانفس ان هذا المركب الذي ركبته في هذا البحر العظيم · انما هو مياه تجمد وبالعرض تركب · فيوشك ان تطلع عليه الشمس · فينحل ويعود الى عنصره ويتركك جالسةً على ظهر الماء · ان امكنك الجلوس · فتطلبين مركباً ولا مركب الا ما اكتسبت من جودة السباحة وحسن التهدّي[1]

يا نفس ان الماء الصافي النقي يؤدي البصر الى ما في ذاته · فان شابه الكدر والوسخ حجب البصر عن ادراك الاشياء المستكنة فيه · وكذلك نور الشمس اذا اشرق على الاشياء · كان البصر مدركاً لها بالحقيقة · فاذا عرض فيها البخار والدخان والغبار · حيل بين البصر وبين ادراكه تلك الاشياء · وكذلك انوار العقل اللطيفة اذا امتزجت بالاشياء الكثيفة المظلمة · كدرتها وعاقتها عن ادراك ما في ذاتها من الصور والاشكال واعدمتها · فحينئذٍ تبقى النفس فقيرة من مقتنياتها · جاهلة بمعلوماتها عادمة حسن التهدي الى طريق نجاتها ·

يانفس ليس الزهد في الدنيا ترك تزويقها واصلاحها مع الرضى بالمقام فيها · وانما الزهد التام الرضى بالتحول عنها والاستعداد للنقلة منها · وكذلك يا نفس ليس الزهد في عالم الطبيعة ترك لذاته وشهواته مع الرضى بالمقام فيه · وانما الزهد بالحقيقة شدة الشوق الى مفارقته · والراحة منه ومن معاندته ·

(١) الاسترشاد

ومضادته ومصائبه واختلافه وظلمته . فينبغي لك يا نفس ان تعتقدي الشوق الى الموت الطبيعي والرضى به . وتحاذري الفشل عنه والخوف منه فبالخوف تكون التهلكة . وبالشوق اليه تكون السلامة . اوليس تعلمين يانفس انكِ بالموت الطبيعي تنتقلين من الضيق الى السعة . ومن الفقر الى الغنى . ومن الحزن الى السرور . ومن الخوف الى الأمن . ومن التعب الى الراحة ومن الألم الى اللذة . ومن المرض الى الصحة . ومن الظلمة الى النور . فلا تبتئسي يا نفس اذ تُسلبي حلل الشر والشقاء . وتلبسي حلل الخير والبقاء . مع تيقنكِ حقيقة ذلك وشافهتكِ اياه ومشاهدتكِ له بذاتك الفردة الوحيدة

يانفس تطلبين الاخوان في عالم الكون . وقد علمت ان ذلك من جنس الممتنع . وانما يوجد ذلك في عالم الروحانيين . لانفراد ذواتهم وتمحصها وصفائها . فاذا احببتِ ذلك فصيري الى هناك تنظفري بمطلوباتك . ولا تطلبي في عالم الكون ما ليس فيه . لأن سكانه اساري ومماليك واي اخوة للاسير . واي عبدٍ للمملوك . فاعلمي ذلك وتيقنيه واعتقديه .

يا نفس اعلمي ان كل فقد تائه وكل نائه هالك . فاحذري يانفس ان تقتني ما لا تعتقدينه انه باق فتتوهين وتهلكين

يانفس ما اشدّ مفارقة الاحباب . واشد من ذلك صحبة كل مفارق .

يا نفس ان اهل الدنيا مظلومون ظالمون مغرورون غارون . ومن ذلك انهم يستقبلون كل نفسٍ واردةٍ الى دار الهموم والاحزان . بالطرب والسرور . ويشيعونها اذا صدرت عنها بالبكاء والعويل . وكفى بهذا

يا نفس ظلماً ومخالفةً للحق والعدل

يانفس تيقني وتفهمي بالاستقرآء[1] والتأمل . واعلمي ان اربعة اشياء هي السبب في هلاك النفس لامحالة . الجهل . والحزن . والفقر . والخوف . واعلمي يانفس ان من بحث عن العلم عدم الجهل . ومن ترك المقتنيات الخارجة عنه عدم الحزن . ومن عفَّ عن الشهوات عدم الفقر . ومن تشوق وتشوف الى الموت الطبيعي ورضي به عدم الخوف

يا نفس ان الجاهل لا يعلم لشيءٍ حقيقةً البتة . والمقتني الاشيآء الخارجة عنه حزين طول دهره . والفقير الى الشهوات فقير ابداً . والخائف من الموت الطبيعي قد عدم حلاوة الأمن . فهل يكون اشقى من نفس جاهلة حزينة فقيرة خائفة ؟

يا نفس لو تقررت[2] لك رتبة الصبر على مضض العزم[3] السائر بكِ الى حد الانفصال عن الطبيعة . لعدمت الخوف مع الفقر جميعاً . فتدرّعي يا نفس الصبر ولا تجمعي الى الحزن والغربة الخوف والفقر فتهلكي

---

(١) الاستقراء هو تتبع جزئيات الشيء وهو تام وناقص . فالتام هو الاستقراء بالجزئي على الكلي . نحو كل جسم متحيز . فانك لو استقريت جميع جزئيات الجسم من جمادٍ وحيوانٍ ونباتٍ لوجدتها متحيزة . وهذا الاستقراء دليل يقيني يفيد اليقين . والناقص هو الاستقراء باكثر الجزئيات نحو كل حيوان يحرك فكه الاسفل عند المضغ لان الانسان والبهائم والسباع كذلك وهو ناقص لايفيد اليقين لجواز وجود جزئيٍ لم يستقر او يكون حكمه مخالفاً لما استقري كالتمساح فانه يحرك فكه الاسفل عند المضغ . وهذا الاستقراء دليل ظني لا يفيد الا الظن . واذا كان الاستقراء بجزئي على جزئي فهو التمثيل . وقد مرَّ . (٢) وفي نسخة تدبرت (٣) وفي نسخة العدم

يا نفس ان الموت وراء الهزيمة والحياة وراء والصبر . والثبات عزّ . والفشل ذل[1]

يانفس ان القتل انما هو ساعة وتنقضي . ومقاساة ذل الاسر حال تطول . فارضي بالقتل في الطبيعة . ولا ترضي بالاسر . فان القتل في الطبيعة هو الحياة الدائمة . وان الاسر في الطبيعة[2] هو الموت الدائم

يا نفس هذه رتب ثلاث فكوني على اشرفها واجملها . فادناها رتبة رجل عالم غير عامل وهو كرجل ذي سلاح لا شجاعة له . وما عسى ان يصنع الجبان بالسلاح . والرتبة الثانية رجل عامل غير عالم وهو كرجل شجاع لاسلاح له . غير ان الشجاع بلا سلاح اقدر من الجبان مع السلاح[3] . وكذلك عامل غير عالم اشرف من عالم غير عامل . والرتبة الثالثة رتبة رجل عالم عامل وهو كرجل ذي شجاعة وسلاح . وهذه ينبغي ان تكون الرتبة الشريفة

يا نفس ان القمر ينير ما وردت اليه الشمس . فاذا عرض له ان يحول بينهما ظل الارض انخسف[4] واظلم . وكذلك النفس نيرة مضيئة ما دام يرد اليها نور العقل . فاذا توسطت اسباب الفساد[5] بينهما . عدمت النفس نورها وانخسفت واظلمت . وكما انه ما دامت الارض في وسط العالم لن يعدم القمر الخسوف . كذلك النفس ما دامت ملازمة للطبيعة لن

(١) وفي بعض النسخ ان الموت تحت الصبر والثبات عز والموت تحت الهزيمة والفشل ذل (٢) في بعض النسخ في الجهل (٣) وفي بعض النسخ ان الشجاع على السلاح اقدر من الجبان على الشجاعة (٤) يقال انخسف القمر وانكسفت الشمس (٥) وفي نسخة اسباب السوداَ والدم والبلغم والمرّة

تعدم الظلمة والأذى · فتبين من هذا الشرح · ان راحة النفس مفارقتها عالم الطبيعة · والتحول عن هذه الدنيا عاجلاً

﴿ الفصل الخامس ﴾

يا نفس ان العقل ليس هو شيئاً غير التصور والتمثل · واي نفس عدمت التصور والتمثل فقدت ذاتها · ومن فقد ذاته فهو ميت

يانفس ان التصور والتمثل هو العقل الذي هو الحياة الدائمة · والتلذذ والتنعّم بالدنيا هو الموت الدائم · فلا تؤثرى مزايلة (١) الحياة الدائمة على مقارنة الموت الدائم فتهلكي

يا نفس ما بال كل الجواهر الطبيعية غير العاقلة متحركة بالطبع (٢) الى عنصرها ومواضعها الخاصة بها · وذلك ان كل جوهر انما شرفه وعزه ان يرجع الى عنصره فيكون في اصله ومحله

---

(١) مفارقة (٢) بالطبع او بالطبيعة اما الطبع فهو ما يقع على الانسان بغير ارادة · وقيل هو الجبلة التي خلق الانسان عليها · او هو مبدا الحركة مطلقاً سواء كان له شعور كحركة الحيوان او لا كحركة الفلك عند من لم يجعله شاعراً · وهو الصورة النوعية او النفس · واما الطبيعة فهي عبارة عن القوة السارية في الاجسام بها يصل الجسم الى كماله الطبيعي والطبيعة ايضاً ما يكون مبدأ الحركة من غير شعور · والنسبة بينهما بالعموم والخصوص مطلقاً · والعام هو الطبع · والطبيعة تطلق على النفس باعتبار تدبيرها للبدن على التسخير لا الاختيار · وقد تطلق على الصورة النوعية · او الطبع ايضاً قوة للنفس في ادراك الدقائق · والسليقة قوة في الانسان ان يختار « مثلاً » الفصيح من طرق التركيب من غير تكلف ونتبع قاعدة موضوعة لذلك

يا نفس افليس كل ما يكون من التراب كالحجارة وغيرها يرجع منحلاً الى التراب الذى هو اصله ونبعه · حتى انه لو اخذ احدٌ جزءًا من الارض فعلا به عن وجه الارض ثم خلى سبيله لعاد مسرعا بحركته الطبيعية الى عنصره واصله · وكذلك كل المياه تراها ابدا متحركة بالطبع ذاهبة الى عنصرها الاعظم · ما لم يعقها عائق · كالعيون التي تنضاف الى الانهار · وكالانهار التي تنضاف ابدا الى البحر الذى هو عنصر الماء · وكذلك كل شيء مما سوى ذلك كصعود النار الى العلو راجعة الى عنصرها · وكسريان الهواء علوا راجعًا الى عنصره (١) فاذا كانت هذه الاشياء التي ليس لها عقل ولا تمييز وانما حركتها حركة هيام وطبع · به يتحرك كل واحد منها الى حيث شرفه وعزه وقوّته · ويأبى الغربة والبعد عن وطنه ومحله · فما بالك يا نفس وانت ذات العقل والتمييز · تأبين الرجوع الى وطنك وعنصرك الذى فيه شرفك وعزك · وتكرهين ذلك وتحبين البعد عن اصلك ونبعك · وتختارين اللبوث في الارض الغريبة · ومقاساة الذل والهوان · فياليت شعري أَبالطبع تختارين ذلك · ام بالعقل · فان كان ذلك بالطبع فساوي الطبيعة في افعالها بالطبع ورجوعها ابدا الى عنصرها · وان كان هذا منك بالعقل والتمييز · فكيف يجوز للعاقل المميز ان يختار الغربة على الوطن · ومحل الخساسة على محل الشرف · ومقاساة

---

(١) سريان مصدر سرى اذا سار المرء عامة الليل وقيل اسرى لاول الليل وسرى لآخره وقوله : كسريان الهواء علوًا راجعًا الى عنصره · ليس صوابًا لان مركز الهواء السطح الكروي وجاء في الكليات ان الهواء جرم بسيط حار رطب شفاف لطيف متحرك لمكان فوق كرة الارض والماء وتحت كرة النار

الذل والهوان . على الراحة والعز والكرامة . ومن حصل في هذه الرتبة فقد بان انه لا يعدّ في رتبة الطبيعيات ولا في رتبـة العقليات . وما لم يكن من هذين الجنسين فليس بشيء . ولا يعدّ في الموجودات . بل ينبغي ان يكون منفيا عنها . فتصوري يانفس هذه المعاني . وارجعي بعقلك الى شرفك الاعلى ومحلك الاقصى

يا نفس اني تأملت اللذات كلها . فلم اجد اللذّ من ثلثة اشياء : العلم والغنى والامن (١) ولكل واحد من هذه الاشياء اصل وينبوع يحرّكه . فمن طلب العلم فليذهب الى معنى التوحيد . فانه بالتوحيد تكون المعرفة والعلم والتحقيق . وبالاشتراك يكون الكفر والجهل والشك . ومن طلب الغنى فليذهب الى رتبة القنوع فانه حيث لا قنوع لا غنى . ومن طلب الامن فليستعد لمعنى المفارقة لعالم الطبيعة وهو الموت الطبيعي

يا نفس ما دمت في عالم الكون والفساد فاحذري حالتين . هما من مهالك النفوس . فاحذريهما وانحرفي عنهما انحراف الخائف الوجل منهما . وهما النساء والاشربة المسكرة . فان الواقع في مصايد النساء كالطائر الواقع في يد صبيّ لا عقل له . فالصبيّ يلهو به ويلعب ويفرح بهجـاً

(١) العلم قد اختلفت اقوال العلماء فيه . فقالوا هو الاعتقاد الجازم المطابق الواقع . وقالوا هو حصول صورة الشيء في العقل . والاول اخص . وقالوا هو ادراك الشيء على ما هو . وقالوا زوال الخفاء من المعلوم . وقالوا هو صفة راسخة يدرك بها الكليات والجزئيات . وقالوا هو وصول النفس الى معنى الشيء . وقالوا عبارة عن اضافة مخصوصة بين العاقل والمعقول . وقالوا عبارة عن صفة ذات صفة * واما الغنى فهو الكفاية واليسار . وقال بعضهم غنى الدنيا « مقصور » وهو الكفاية . وغناء الآخرة وهو السلامة « ممدود » * والامن عدم توقع مكروه في الزمان الآتي

مسروراً · والطائر في خلال ذلك · يتجرع غصص الموت · ويلقى انواع العذاب · وكذلك يا نفس ينبغي ان تحذري شرب المسكر · فان السكر يجعل النفس كالسفينة الجارية في شدّة تيار الماء وامواجه · وليس فيها ملاّح ولا مدبّر يدبرها · فكذلك النفس اذا فارقت العقل غرقت وجرت بها الطبيعة جرياناً مائلاً لا ترتيب له ولا نظام فهلكت وتلفت

يا نفس ان الشيء الذى يأتيك لمه ثم يعاودك نسيانه (١) فتيقني انه انما يأتيك علمه من خارج ذاتك · بمادة تتوسط بينك وبين علم ذلك الشيء · فاذا عاودك نسيانه فانما ذلك من قبل ظلمة الجسد واختلافه وثقله واجتذابه اياك الى ذاته واعاقته لك بكثرة اضداده (٢) وتركبه

(١) النسيان هو السهو وهما مترادفان قال بعضهم ان النسيان غيبة الشيء عن القلب بحيث يحتاج الى تحصيل جديد · والسهو هو غفلة القلب عن الشيء بحيث يتنبه بادنى تنبيه · وقالوا النسيان زوال الصورة عن القوة المدركة مع بقائها فى الحافظة · والسهو زوالها عنهما معاً · وقيل غفلتك عما انت عليه لتفقده · سهو · وغفلتك عما انت عليه لتفقد غيره · نسيان · وقيل السهو يكون لما علمه الانسان ولما لا يعلمه · والنسيان لما عزب بعد حضوره · واما الذهول فهو عدم استثبات الادراك حيرة ودهشةً · وفي المفردات شغل يورث حزناً ونسياناً والغفلة عدم ادراك الشيء مع وجود ما يقتضيه واما قوله وما كنا عن الخلق غافلين اي مهملين امرهم · وقد يجيء النسيان بمعنى الترك ومنه النسي وهو ما يسقط في منازل المرتحلين من رذال امتعتهم

(٢) الاضداد جمع ضد · وهو عند الجمهور يقال لموجودٍ مساوٍ في القوة لموجود آخر ممانع له · ويقال لموجودٍ مشاركٍ لموجودٍ آخر في الموضوع معاقب له اي اذا قام احدهما بالموضوع لم يقم الآخر به · والضدان اذاً عبارة عما لا يجتمعان فى شيء واحد من جهة واحدة · واما قولهم : يكونون عليهم ضداً · فالمراد به العون · فان عون الرجل يضاد عدوّه وينافيه باعانته عليه · وهو يكون للجمع والمثنى والمفرد

فتعودين ناسية لما كنت قد ذكرته وجاهلة لما كنت قد علمته . ومثل ذلك يا نفس كمثل البصر والمبصرات والظلمة والنور (١) وذلك ان البصر يكون في الظلمة فتكون المبصرات حاضرة بين يديه فلا يراها . ويضعف عن ادراكها . فاذا ورد اليه النور المضيء اعانه على ادراك مبصراته ومحسوساته التي كانت قبل ذلك غائبة عنه . فكان ذلك النور سائقاً له اليها ومتمما له ادراكه اياها . وجاعلها فيه بالفعل بعد ان كانت فيه بالقوة . فما دام البصر واجدا لذلك النور فهو واجد لمبصراته ومدرك لها . فاذا فقد النور وعاودته الظلمة عاد الى فقده جميع محسوساته . ولو دام له النور ابدا لدام له الادراك ابدا ما دام النور . وعدم الظلمة فاذا كان قد اتضح لك يا نفس . ان النور يأتي من قبل العقل . وان الظلمة تأتي من قبل الجسد . فينبغي لك يا نفس ان لا تأسفي على فراق الجسد لشدة اضراره بك وخذلانه اياك واعاقته لك عن ادراك معلوماتك الدائمة الحقيقية . بل ينبغي لك يانفس ان تأسفي على مفارقتك عالم العقل لكثرة منافعه لك ومساعدته اياك على نيل مطلوباتك . فانصرفي يانفس عن الطبيعة زاهدة فيها قالية لها خائفة منها فازعة الى عالم العقل الذي هو

(١) النور كيفية تدركها الباصرة ثم تدرك بها كل المبصرات . والنور « في ذاته » هو الجوهر المضيء . والنار كذلك غير ان ضوء النار مكدر مغمور بدخان محذور عنه بسبب ما يصحبه من فرط الحرارة والاحراق . واذا صارت مهذبة مصفاة كانت محض نور ومتى نكصت عادت الحالة الاولى جذوة . ولا يزال يتزايد حتى ينطفي نورها ويبقى الدخان الصرف . والنور من جنس واحد وهو النار . بخلاف الظلمة . اذ ما من جنس من اجناس الاجرام الا وله ظل . وليس كل جرم نور

اصلك ونبعتك . ومعدن شرفك وعزك . تحيي بذلك الحياة الدائمة . وتستكملي السعادة التامة الكاملة

يا نفس حتى متى والى متى انت في عالم الكون تطوفين واردة وصادرة . وذاهبة وراجعة . تتخذين القرناء والخلان . فخليلا تتركين وخليلا تتخذين وتصحبين . وليس من خليل تصحبينه فيلين لك منه جانب . الا وقد تلون لك منه جانب معتقدًا لك الغدر والخذلان . وانت معتقدة له الوفاء والمساعدة . يغشك فتنصحينه . ويعتل فتصححينه . ويدنسك فتطهرينه . فهو دائمًا يقاتلك بما في جوهره وطبعه . وانت دائمًا تقابلينه بما في جوهرك وطبعك . ثم يعقبك بعد هذا كله بالقطعية الكلية والفراق القاطع (١) على غير جرم اجرمته . ولا ذنب جنيته . فانت في كل حين متجرعة من الفراق غصصا . وفاقدة الفا وخليلا . على غدرهم بك ووفائك لهم . وظلمهم اياك وانصافك اياهم . لاعن الآخر بالاول تنزجين . ولا بطول تجربتك واختبارك لهم تتعظين وتعتبرين (٢) . فحتى متى والى متى

---

(١) القاطع : الهاجر (٢) الاعتبار : هو النظر في الحكم الثابت انه لاي معنى ثبت والحاق نظيره به وهو عين القياس . وقالوا الاعتبار هو النظر في حقائق الاشياء وجهات دلالتها ليعرف بالنظر فيها شيء آخر من جنسها . وقيل الاعتبار هو التدبر وقياس ما غلب علي ظهر . ويكون بمعنى الاختبار والامتحان . وبمعنى الاعتداد بالشيء في ترتيب الحكم . نحو الاعتبار بالعقب اي الاعتداد في التقدم به . والاعتبار مأخوذ من العبور والمجاوزة من شيء الى آخر ولهذا سميت العبرة عبرة والمعبّر معبّرًا واللفظ عبارة . وقالوا السعيد من اعتبر بغيره . والشقي من اعتبر به غيره

تصاحبين الاشرار الظالمين والخونة الغادرين · اهذا جهل منك وعمى ام تجاهل وتعامٍ عن الصواب

﴿ الفصل السادس ﴾

يا نفس انه لو شرب شارب من الماء شربة واحدة · لقد كانت تلك الشربة تقرر في نفسه المعرفة بطبيعة الماء كله · فان اختبار الجزء من الشيء الواحد ينبي عن سائر اجزائه وان الناظر الى كف من التراب فقد رأى التراب كله · وان اختلفت الوان التراب فليس جوهره مختلفا · وان مصاحب القرناء والخلان الذين كلهم من طبيعة واحدة وجوهر واحد · لعارف بان واحدهم ينبي عن جميعهم · وقليلهم ينبيء عن كثيرهم · فاقتصري يا نفس على هذا الشرح واكتفي به · توفقي للسلامة والنجاة ·

يا نفس اني ارى كل شكل يحنّ الى شكله · وكل نوع ينضاف الى نوعه · فينبغي ان تكوني بهذا المعنى عرفة · يا نفس انت صافية فلا تصحبي كدرًا وانتِ نيّرة فلا تصحبي مظلماً · وانت حية ناطقة فلا تصحبي ميتاً ابكم · وانت عاقلة عادلة فلا تصحبي جاهلاً جائرًا · وانت طاهرة نقية · فلا تصحبي نجساً دنساً وانت متصرّفة بالتميز والارادة العقلية · فلا تصحبي المتحرك حركة الهيام والالتباس والتشوّش · فان انتِ لم تتحققي شرحي هذا فأريني كيف يكون الاتفاق في معانيك التي ذكرتها بمعاني سواك · ومن المحال يا نفس ان يثبت لك اجتماع المتخالفين في معنى واحد · فتيقني يا نفس قولي · وارجعي الى ما رسمته لكِ وحددته · تجدي الحق وتظفرى بالصواب

يا نفس ما اشغل (١) الغريق في الماء عن صيد السمك . وكذلك ساكن الدنيا ما اشغله عن مقتنياتها ولذاتها بخلاص نفسه . ان فطن لسوء وقوعه فيها . يا نفس يكفيك وانت في عالم الحس ما تقاسينه من آلامك (٢) واضدادها واوساخها فلا تضيفي الى آلامك شيئاً آخر . فتكوني كالغريق المرتهن في البحر قد حمل على عاتقه حجرا . وما ارى ان غريقاً ينجو من البحر مجرداً بنفسه . وان نجا فبصعوبة . فكيف به اذا حمل على عاتقه شيئاً آخر

يا نفس ان سلوك طريق النجاة وطريق الهلكة يكون من قبلكِ بحسب ما عرفته وخبرته . وذلك انه اذا كانت معرفتك بالمحسوسات فقط فانه في وقت انتقالك الى ما علمته . اليها تنتقلين ولفدحها (٣) تكابدين ونحوها تتجهين . وبها ترتبطين . وان كانت معرفتك بالمعقولات وآثرتها على غيرها فنحوها تتجهين واليها تنتقلين . وبها ترتبطين .

يا نفس هذه دار المحسوسات ودار المعقولات حاضرة بين يديك وكلاهما قد جربته وشاهدته . فتخيري ايهما شئت غير مدفوعة ولا ممنوعة . واذهبي الى احظاهما عندكِ فان اخترت اللبوث في دار الحس فاقيمي على ما قد جربته وعرفته . وان احببت المصير الى دار العقل . فينبغي

---

(١) ما اشغله على التعجب . هو شاذ لانه لا يتعجب من المجهول لكونه للمفعول . والتعجب انما يكون من فعل الفاعل . وكذلك التفضيل لانه شريك التعجب في جميع احكامه فقد شذ هذا الحرف وقالوا فيه هو اشغل من ذاتِ النحيين والنحي زق او جرة فخار يجعل فيها لبن يمخض . (٢) وفي بعض النسخ الاتك . (٣) اي ثقلها

لك قبل الانفصال ان تتصوّري معنى طريقك (١) وسلوكك اياه على
ترتيبه محلاً بعد محل حتى تنتهي الى محل المستقر . فان كنت يا نفس
ذاكرة لهذا الطريق فاحذري ان يحول بينك وبينه النسيان والخوف وقت
الانفصال . فتضلّي وتتوهي . وان كنت يا نفس ناسية لهذا الطريق
فتذكريه واستعيني على تذكره بوصف سالكيه وخابريه . فانهم أئمة الهدى
ومصابيح الدجى والادلاء (٢) على المسلك الى العلى فالتزمي افعالهم وارتبطي

---

(١) الطريق يذكر ويؤنث . (٢) الادلآء جمع دليل ويجمع ايضاً على ادلة ودلائل والاخير نادرٌ . والاول غلب استعماله للعاقلين . والدليل المرشد الى المطلوب ومنه يا دليل المتحيرين اي يا هاديهم الى ما به تزول حيرتهم . ويراد به العلامة المنصوبة لمعرفة المدلول ومنه سمي الدخان دليلاً على النار . واسم الدليل يقع على كل ما يعرف به المدلول حسياً كان او غير حسّي حتى سمي الحس والعقل والنص والقياس وخبر الواحد وظواهر النصوص كلها ادلة . والدلالة كون الشيء بحيث يفيد الغير علماً اذا لم يكن في الغير مانع كمزاحمة الوهم والغفلة بسبب الشواغل الجسمانية . والدال من حصل منه ذلك والدليل في المبالغة كعالم وعليم وقادر وقدير . ثم سمي الدال والدليل دلالةً لتسمية الشيء بمصدره . والدلالة اعم من الارشاد والهداية . والاتصال بالفعل معتبر في الارشاد دون الدلالة . والدليل المرجّح ان كان قطعياً سمي تفسيرًا . وان كان ظناً كان تأويلاً . وان كان من الكلي الى الكلي يسمى برهاناً . او من الكلي الى البعض فيسمى استقراءً . او من البعض الى البعض فيسمى تمثيلاً . وان كان من المعلول الى العلة فيسمى برهاناً انياً وعكسه من العلة الى المعلول فيسمّى تعليلاً وبرهاناً لمياً . واللمي اولى وافيد واشرف . والدلالة تتضمن الاطلاع ولهذا تتعدّى بعلى . وما كان للانسان اختيار في معنى الدلالة فهو بفتح الدال وما لم يكن له اختيار في ذلك فبكسرها . مثاله اذا قلت دلالة الخير لزيد فهو بالفتح اي له اختيار في الدلالة على الخير . واذا كسرتها فمعناه حينئذٍ صار الخير سجية لزيد فيصدر منه كيفما كان .

بادبهم فانك ان لزمت فعلهم فمهم تخلصين . واعلمي يا نفس ان كل شيء يذهب وينتقل الى نحو العلو ينبغي ان يكون خفيفاً صافياً نقياً ليكون اسرع مروراً الى غايته . وان كل شيء يذهب الى اسفل . ينبغي ان يكون ثقيلاً كدرا . وعلى حسب كدره وثقله تكون سرعة مروره الى غايته

يا نفس ان الاضياف الشريفة ترد من عالمها الى عالم الطبيعة ورود مختبر له . فاذا استعملت الآلات التي تشافه بها الطعوم (١) والروائح والمبصرات وكل الاشياء المبصرة العارضة في الحس . نسيت عالمها وكل ما فيه . وظنت انه لا شيء غير ما تشاهده في الحس . فحينئذٍ تنسى عالم العقل وتعدم ذكره . فاذا ولَّت (٢) عن النوع الناطق قيل انها قد ماتت . ومضت مع جريان الطبيعة . فمتى عادت الى الكون الاوّل ثم ذكرت عالمها بعض الذكر . قيل انها حييت من مماتها . وحينئذٍ تتعلّق بالمعنى الذي قد ذكرته مستكشفة له وباحثة عنه وعن كل المعاني التي نسيتها اوّلا . وكل ما عقلت شيئاً مما نسيته انجلى بصرها وقويت صحتها وفارقت مرضها . وعند ذلك تدرك ببصر عقلها . ان كل ما هي مشاهدة له في عالم الحس . انما هو خيالات اشياء لا اشياء بالحقيقة . وخيال الشيء هو ظل الشيء الحقيقي على وجه الارض والماء . وانما عرض للنفس مرابطة (٣) اشكال الانواع

---

(١) الطعوم جمع الطعم وهو ما يؤديه الذوق من حلاوة الشيء ومرارته وما بينهما يكون في الطعام والشراب وقيل ايضاً هو ما يشتهى من الطعام .

(٢) اي ادبرت . (٣) المرابطة المواظبة والملازمة

دون الانواع عينها · لنسيانها عالم العقل اوّلا عند ورودها الى عالم الحس
وبتأملها هذه المعاني وتذكرها لما تكون صحتها من مرضها · وعقلها بعد
جهلها · فتذهب راجعة الى تأمل المعانى الحقيقية · والحياة الدائمة
السرمدية ·

يا نفس تأملي قولي وافقهيه واعلمي ان العقل للنفس كالاب ·
والطبيعة له كالزوجة · وان للنفس جهتين تميل اليها فتارة تميل نحو العقل
بالمناسبة · كالمناسبة التي بين الاب والابن · وهذا هو العقل الطبيعيّ
الحقيقي · وتارة تميل نحو الطبيعة بالهوى كالعشق الذي يكون بين الرجل
وزوجته وهذا هو العقل العرضي الزائل · فتأملي يا نفس الرجل اذا خلا
بزوجته · كيف تقابله بالملاعبة والضحك والملق وتكلّمه بالطف ما
ما يكون من الكلام وارقّه · وليس ظاهر ما تبدي كباطنه · لانها انما
تفعل ذلك لتستعبده به وتستعمله في اغراضها وتسوقه الى المهالك · فانظري
يا نفس الى فعل الزوجة كيف تسقي العسل مخلوطا بالسمّ القاتل الرديء
العاقبة · ثم تأملي يانفس فعل الرجل اذا خلا بولده كيف يقابله بالعتب
والتوبيخ ويكلمه بامر الكلام واخشنه · وليس ظاهر ما يبدي من ذلك
كباطنه · لانه انما يريد بذلك تشريفه ومنفعته في كل حالاته · فانظري
يا نفس الى فعل الاب كيف يسقي الدواء المر الكريه لولده مخلوطاً بالصحة
والحياة وحسن العاقبة · فافهمي يا نفس هذه المعاني فما كان صحيحاً
فخذيه · وما كان محالاً وباطلاً فدعيه واطّرحيه ·

يا نفس انما لكِ اخاطب · واليك أُشير · واياكِ اريد · انما الطبيعة

زوجتكِ والعقل ابوكِ وان لطمة من ابيك خير من قبلة من زوجتكِ ٠

يا نفس انه لا بد لك من ابيك لانه لا شيء يقطع النسب والنسبة بينك وبينه البتة لا الفرقة ولا الاجتماع ٠ لا الغضب ولا الرضى بل النسبة ثابتة على كل حال ٠ لا يمكن زوالها لانه قد يمكن ان يخلي الرجل سبيل زوجته ٠ فتنقطع علائقه منها ٠ ولا يمكنه ان ينفي نفسه من والده ويأخذ له والدًا غيره

يا نفس انكِ بإطاعتك للعقل تحيين وتشرفين ٠ وبعصيانك اياه واطاعتك للطبيعة تموتين وتهلكين ٠ فتصوري يا نفس حقيقة هذه المعاني وتمثلي بها توفقي للسعادة وتستكملي الرشاد

الفصل السابع

يا نفس حتى متى والى متى انا سائقك الى طريق النجاة والمنفعة فلا تنساقين ٠ وانت سائقتي الى طريق الهلكة والمضرَّة لي ولك فلا أنساق معك ٠ فاذا كان قد وجب هذا الخلف بيني وبينك فليس هنا يا نفس غير المفارقة ٠ إذن نفترق يا نفس ويمضي كل واحد منا الى حيث يهوى ويريد ،

يا نفس ما انت منصفة ولا عادلة ولا عاقلة : ابوكِ مقبل عليكِ بتأديبه ومعاتبته النافعة لك عواقبها ٠ اللذيذة ثمارها ٠ وانت معرضة عنه ومقبلة على زوجتك وخداعها وتضلالها (١) ولطف ملقها (٢) المنتج لك

(١) اي تضليلها لانها تصيّركِ الى الضلال (٢) اعطاءها من الود بلسانها ما ليس في جنانها

الاحزان والهموم والمخافة والفقر

يا نفس ان فاتتك فرصة العمل بالنصيحة في اوان العمل · فاتتك حلاوة الاستثمار والثواب على صالح الاعمال · فانه من لم يغرس الشجرة في اوان غرسها · لم يلتذ بالثمرة عند اوان ادراك الثمر · فتيقني يا نفس قولي هذا وافهميه ان كنت حية عاقلة · وان كنت ميتة جاهله فما ابعد تيقنك اياه وفطنتك له

يا نفس تيقني ان الاصناف الشريفة انما وردت الي عالم الكون لتختبره · فلما وردته وشافهت معانيه نسيت عالمها العقلي وجهلت ذاتها النورانية · ومتى ادركت ذكر مانسيته فقد صارت مشاهدة للحالين جميعاً ومميزة بينهما كالشرف والخساسة · وملكت التخير في ان تلبث عند ايهما شاءت · فاذا ادركت ببصيرة عقلها علوّ المرتبة الشريفة على دنوّ المرتبة الخسيسة · فحينئذٍ تؤثر الرجوع الى مناسبها بالمعنى الذى به تتصل وتنفصل مما قارنها بالعرض راغبةً عنه زاهدة فيه · فتحققي ذلك يا نفس فان لك تحته راحة كثيرة وفائدة عظيمة وسعادة دائمة باقية مضيئة

يا نفس ان المواعظ والتنبيه صقال النفوس من الصدأ · وان المرآة الصدئة بالعرض السريع الزوال يمكن للصيقل جلاءها · واما المرآة التى قبلت الصدأ بالعرض الثابت البطيء الزوال الخارج عن حدّ القوة الى حدّ الفعل · فقد صار لها ذلك الصداء طبعاً ثابتاً مستحكما فلا ينجح فيها عمل الصيقل · ولا يستخرج الصداء منها الا باعادتها الى النار والسبك · وكذلك النفوس العرضية الكدر · تنجلي بالتنبيه والمواعظ فتذكر سالفات

امورها · فاما النفوس الطبيعية الوسخة الكدرة فليس يصدأُها (١) الا دخولها الى مرتبة العذاب وطول لبوثها فيه وترددها اليه

يانفس كم يتردَّد الذهب الكثير الغش الى النار قبل أن يصفو ويتهذب وكم يدخل العود المعوج النار قبل ان يتقوم · وكم تعود الحنطة الى الغربال قبل ان يذهب غلثها (٢) وغشها (٣) وكم تقاسي النفوس الخبيثة الصدئة من الوان العذاب قبل ان تستقيم وترجع

يا نفس انه لا يمكن لاحدٍ ان يعرف فضل حلاوة العسل على مرارة الصبر دون ان يذوقها جميعاً ويلعق منهما ويعقلهما بالتمييز · وكذلك لا يمكن للنفس ان تعرف فضل حلاوة النعيم على مرارة العذاب دون ان تذوقهما جميعاً وتعقلهما

يا نفس كم بين الخارج من شيء قد خبره وذاقه وزهد فيه · وبين الداخل اليه الراغب في ان يذوقه ويختبره

يا نفس ان المقاتل في الحرب يتمنى الخروج من كرب القتال وثقل السلاح · والذى لم يشاهد الحرب قط يشتهي ان يلاقيها ويذوقها · فان قلت يا نفس انك قد وصلت الى غايتك مما قد جرَّبته وحزنتهِ · فارجعي الآن الى نهايتك مما كنت قد نسيته

---

(١) اي يجلوها من الصدأ (٢) الغلَث والفعل غلَث الشيء يغلِثه كغثله اي خلطه بشيء والاسم الغلَث والغليث الطعام يُغث بالشعير والمدر (التراب المتلبد) والزؤان · والعليث خبز من شعير وحنطة (٣) الغش هو الكدر في كل شيء والغشش الكدِر المشوب

يا نفس متى اردت الاعتبار الا كبر فانصرفي الى تأمل الشيء الابدي الديومة الازلي الغاية السرمدي المسافة اذ لا حد لشيء سرمدي (١) الذى هو مبدئ الاشياء كلها عند ظهورها · ومعيدها عند دثورها · والذي هو باسط الاشياء وقابضها · ومبدأها ومعادها · وواضعها ورافعها · كلاً بعد كل وفرعاً بعد فرع

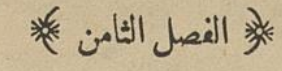
يا نفس تأملي الاشياء الجزئية كيف تضعف قواها عن الثبات والديومة فترتد عن كيانها· وترجع الى كلياتها· وكذلك الاشياء الكلية تضعف عن المساواة في الديومة الاصل الفردي الازلي فتدثر (٢) عند انحلال قواها · وتناهي مدتها دفعة واحدة · وكذلك توجد الاشياء تارة بالفعل وتارة بالقوة دائماً وسرمداً

يا نفس كم بين خليل يزري بكِ (٣) ويحسدكِ ويحوجكِ ويفقرك ويحزنك ويفزعك ويغمك ويجهلك (٤) ويغشك ويكدرك تشتهين البصر فيعميكِ · وتحاولين الرشاد فيطغيكِ · يقيدكِ بالمقتنيات الزائلة البائدة التى لا حقيقة لها · ويمنّيكِ بالاماني الكاذبة الخسيسة التي لا وجود لها · فانت بسببه محتاجة ابداً فقيرة خائفة حزينة ذليلة مسكينة

---

(١) الازل هو اسم لما يضيق القلب عن تقدير بدائته · من الازل وهو الضيق · والابد اسم لما ينفر القلب عن تقدير نهايته من الابود وهو النفور · والسرمد من السرد وهو التوالي والتعاقب · سمي الزمان به لذلك وزادوا عليه الميم ليفيد المبالغة في ذلك المعنى · فالازل هو ما لا بداية له في اوله كالقدم · والابد ما لا نهاية له في آخره كالبقاء · يجمعهما واجب الوجود كالاستمرار (٢) اي تندرس وتمحي (٣) اي يحط من قدركِ ويدخل عليكِ العيوب (٤) ينسبك الى الجهل

مظلمة صدئة مستعبدة · كلما اغنيته ازداد فقرا · وكلما طهرته ازداد نجاسة ودنسا · وكلما صححته ازدادامرضاً وانتقاضاً · تتوهمين دوام خلته وثباته وهو مسرع بجريانه الى تركك والذهاب عنكِ · يذيقكِ غصص الفراق وتوه العقل (١) وهذا كله يجري عليك بضلالاتكِ ونقصكِ وعماكِ وجهلكِ · فكم بين هذا الخليل يا نفس وبين خليل غيره تصحبينه · ان افتقرت اغناكِ · وان ضللت هداكِ · وان جهلت علمكِ · وان عميت بصركِ · لا يلزمك بمؤونة ولا كلفةٍ ولا اهتمامٍ ولا خدمة · وهو معك ابداً لا تذوقين لمودته انقطاعا · ولا لوجوده فقدا ولا فراقا · كلما دمت معه اكتسبت من شرفه شرفا · ومن نوره نورا · ومن حياته حياة · ومن علمه وبصيرته علما وبصيرة · ومن غنائه وعزّه غناء وعزّا · يقنيك (٢) بالمقتنيات الدائمة الابدية · ويفيض عليك باللذات الموجودة الخفيـة · فانت معه رابحة غير خاسرة فتمثلي هذا الخليل يانفس واقترني به وانضمي اليه واتحدي به



الفصل الثامن

يا نفس ان من كان له حبيب وفقده ثم وجد بعد فقده اياه عوضاً منه وبديلاً · يوشك ان يسلاه وينساه · ولا سيما اذا كان الآتي اوفق واحمد من الماضي · ومن فقد حبيباً ثم لم يجد منه عوضاً · يوشك ان

(١) اي اضطرابه (٢) يقنيكِ اي يعطيكِ مايقتنى من القنية الابدية

يطول حزنه وتعظم حسرته · ومن السياسة يا نفس ان كان لك خليل انت متحققة لفقده وفراقه · ان ترتادي منه بديلا وعوضاً · وتلتمسي لك صاحبا وقريناً غيره · ومن الواجب ان يكون المستأنف اوفق واحمد من الماضي فانه من فقد شيئاً ثم وجد ماهو خير منه تحوّلت مصيبته الى نعمةٍ وحسرته الى فرحٍ وسرور

يا نفس من قبل مزايلتك عالم الكون والفساد · تمكني من مواصلتك عالم العقل · ومن قبل مفارقتك قرينك الغادر الدنيء الفاني · تخيلي فراقه وتمثليه وتخلي عنه رويداً رويداً واستقبلي مواصلة خليلك الاتي واُنسي به وانضافي اليه رويداً رويداً

يا نفس إن من سكن منزلاً فأبغضه واراد الخروج منه · فينبغي له ان يرتاد موضعاً غيره قبل نقلته · فان من انتقل من موضع · ولم يعرف له موضعا غيره ينتقل اليه · يوشك ان يبقى تائهاً مضطراً · والاضطرار يلجئه الى السكنى حيث وجد على غير ترتب ولا اختيار · فلعله يسكن بالضرورة في موضع شرٍ من موضعه الاول فيتنغص عيشه وتتكدر حياته ،

يا نفس انه ما من احد يسكن في موضع ضيق خرِب وحشٍ · الا وهو يشتهي ان ينتقل منه الى موضع اشرف من الاول واوسع وابهى · فما بالكِ انت يا نفس تؤثرين السكنى في المساكن المظلمة الخربة الوحشة وتتركين المساكن النيرة المضيئة الآنسة · فالى متى تكونين عمارة للخرَب (١)

(١) تعمر الخرَب بسكناك فيها وتانس بمقامك بها

الوحشة وتكون مساكنك الحقيقية معطلة خاليه منكِ

يا نفس تيقني ما اقوله لك وتدبريه · وان كنت متحققة لشيء غير ما تدركينه بالحواس الخمس · فقد توجهت الى طريق نجاتك · وان كنت لم تحققي شيئاً من الاشياء الاّ ما تشاهدينة ببصر الجسد وسمعه وذوقه وشمه ولمسه · فانت اذاً موقوفة على طريق العطب ومقاساة العذاب ،

يا نفس ان حدّ الاتقاء كلمة يجب ان تعرفي معناها فحدّ الاتقاء (١) ان تتقي الاشياء الضارّة لك · وان شيئين يكون احدهما ضارّاً للآخر فينبغي ان يكونا مختلفين في معناهما · لان المضرّة انما تكون بالمخالفة كما ان المنفعة انما تكون بالاتفاق · ومن اتقى الاشياء الضارة له كان متقياً بالحقيقة · ومن واصل الاشياء الضارة له واتقى الاشياء النافعة · فقد صار بالحقيقة غير متقٍ لا الضار ولا النافع · ويقال ايضاً انه غير متقٍ ان اتقى ما ينفعه وواصل ما يضره · وليس يوجد في الموجودات شيء لا يكون ضارّاً ولا نافعاً · فان آثرت يا نفس المنفعة فواصلي الاشياء الموافقة لكِ في معانيكِ · وان آثرت المضرة فواصلي الاشياء المخالفة لكِ في معانيك وان آثرت الحيرة والتوهان والاشتراك والشكوك فواصلي الاشياء النافعة والاشياء الضارة جميعاً (٢) اذ لا تجدين حالا من الاحوال غير ما قد

(١) الاتقاء · افتعال من الوقاية وهي فرط الصيانة وشدة الحرص والاحتراس من المكروه · والمتقي اسم لمن يقي نفسه عما يضره في الآخرة وعن كل ما يؤثم من فعل او تركٍ وعن كل ما يشغل عن الحق (٢) اي جامعة بين النافع والضار

رسمته لك · فتيقني يا نفس هذه المعاني فان كنت نيرة مضئية فلا تشا كلي المظلمة وان كنت حية ناطقة فلا تشابهي الموتى البكم وان كنت عاقلة مميزة فلا تشافهي الجهال والعميان · يا نفس تهدي (١) الى الشيء النافع لك باتفاقكما في المعنى وتهدي الى الشيء الضار لك باختلافكما في المعنى فما كان نافعاً لك فخذيه وما كان ضاراً لك فاطرحيه واحذريه

يا نفس اذا عزمت على النقلة من مسكن انت ساكنته · فانتقلي الى مسكن يكون اشرف من المسكن الاول ليشتد سرورك بنقلتك · فانه من انتقل من بيت مظلم ضيق خرب وحش الى بيت نير مضيء رحب آنس · يوشك ان يبقى مسروراً بنقلته فرحا بحسن عاقبته

يا نفس احذري الخطأ في السياسة فان ثمرة الخطأ العذاب بعينه لان الخطأ والزلل لا يستثمر منهما الا خطأ وزللا وسوء عاقبة · وان ثمرة الاصابة وحسن التهدي هي النعيم بعينه لان الاصابة وحسن التهدي لايستثمر منهما الا اصابة وهدى وحسن عاقبة

يا نفس انه من غرس النخل وأجاد خدمته اكل الرطب والتمر وحمد عاقبته · ومن غرس الصفصاف والعلّيق عدم الثمر وذهبت خدمته وتعبه باطلا وذم عاقبته · فتهدي يا نفس في جميع احوالك الى اخذ ما هو نافع لك · وترك ما هو ضار لتكوني من النفوس الموفقة الرشيدة المقترنة بالسعادة الابدية الدائمة

---

(١) اي اهتدي لانه يقال في مضارع اهتدى يهتدي ويهدّي ويِهِدّي او هو من تهدّى بمعناه ·

الفصل التاسع

يا نفس تيقني ما انا باسطه لك وممثله · فاني اختبرت هـذا العالم وبحثت عنه فوجدت هيولاه على جهة ابتداء لا على معنى اختيارٍ · فكل ما لطف وشرف امتاز (١) الى العلو · وكل ما تكاثف وخشن امتاز الى اسفل · ثم وجدت الحركة الفلكية تقسم هيولى هذا العالم الى اربعة اصول · وهي النار والهواء والماء والارض · واني اعتبرت هذه الاركان الاربعة في حركاتها ومعانيها فوجدتها تتحرك بالطبع حركة هيام وموت لا حركة عقل وحياة · واني وجدت اشياء كائنة من هذه الاركان ذات حياة ونطق وعقل · فعجبت كيف تكون الاشياء الميتة الجاهلة اصولا للاشياء الحية العاقلة ؟ ثم قلت لعل هذه الاركان اذا امتزجت في بدن الحيوان الناطق احدثت فيها حياة وعقلا · ولكن كيف يسوغ في العقل ان يمتزج الميت بالميت فينتج منهما حيٌّ · او يمتزج جهل بجهل فيكون منهما عقل · فدفعتني الضرورة حينئذٍ الى ان اقول : ان هذا الشيء الحي العاقل هو شيء ليس من هيولى هذا العالم اعني عالم الكون والفساد · بل من اشياء طارئة عليه غريبة عنه واردة اليه وصادرة عنه · وانه من الممتنع ان يكون الموت ينبوع الحياة وان يكون الجهل ينبوع العقل · فينبغي يا نفس ان تتيقني ان هذا الشيء الحي العاقل ليس هو من اركان هذا العالم · بل هو شيء آخر غيره فابحثي عنه لتعرفيه واستكشفي حاله لتختبريه فبذلك تسعدين وتستكملين علما وكمالا

---

(١) اي انفصل عن غيره

يا نفس ان من اصعب الاشياء واشدّها امتناعا ان تعمل صنعة(١) الصياغه باداة الفلاحة او صنعة النجارة باداة الخياطة · ولكل صناعة اداة لن يستوي عملها الاّ بها لا بغيرها · واذا كان الانسان عارفا لكل الصنائع ايضاً · مستعملا كل ادواتها ينبغي له اذا اراد ان يعمل الخياطة · ان يرميَ من يده اداة الفلاحة ويأخذ للخياطة اداتها التي تصلح لها · واذا اراد ان يعمل الفلاحة ان يرمي من يده اداة الخياطة ليأخذ للفلاحة اداتها التي تصلح لها · وكذلك يا نفس ينبغي لمن اراد ان يدرك العلم وعمل الخير ان يرمي من يده اداة الجهل والشرّ ويأخذ للعلم والخير اداتهما التي تصلح لهما · واداة العلم والخير بغض الدنيا والزهد فيها واداة الجهل والشر حب الدنيا والرغبة فيها · فمتى هممت يا نفس بطلب العلم والخير · فدعي من يدك اداة الشرّ كما قد تقرر في علمك ان الصنعة لا تعمل الاّ باداتها · وخذي للعلم والخير اداتها فانه متى عملتهما باداتهما عملا بغير تعب ولا نصب · ومتى كان بيدك اداة الشر واردت ان تعملي بها الخير امتنع ذلك عليك وصعب كما امتنع على من كان بيده اداة الفلاحة فاراد ان يعمل بها الصياغة فطال تعبه ونصبه ولم يتم له عمله فتيقني يا نفس هذا المعنى واعلمي ان حب الدنيا والخير لا يجتمعان في قلب ابدا · كما ان بغض الدنيا والشر لا يجتمعان في قلب ابداً · فتصوري يا نفس حقيقة هذا وادركيه ببصر عقلك ·

يانفس انك بالعلم الحقيقي تدركين ببصيرتك اتصالك ببارئك ومناسبتك

(١) الصَّنعة عمل الصانع والصِّناعة حرفته والصُّنع ايجاد شيء مسبوق بالعدم وبالتخصيص تركيب الصورة في المادة

اياه فتلتذّين بذلك لذة الحق وانه بالجهل تعدمين ذلك وتنكرينه · وذلك بعماك وظلمتك وخطائك وزللك وتزعمين بالوهم (١) انك من الاصناف الخسيسة وتلحقين بها فتلازمينها وتقترنين بالوان العذاب والآلام

يا نفس ليكن غرضك كله العلم والحق · فاذا اقتنيت ذلك فانهضي وتوكئي على الفكر والتمييز دائماً لتدركي بذلك الاصابة وتجري عاداتك بها ويحدّ اليها نظرك (٢) فتفعلين حينئذٍ فعل المصيب البصير النير المهتدي وتنسين الجهل والعمل به والخطأ فتتركينه وتعدمين فعل الجاهل العمي المخطي · فتدبري هذا واعتبريه فانك باعتبارك اياه تجدين حقيقته

يا نفس ان حد العذاب مشاهدة النفس ما اختلفت وتغيّر · وان حد النعيم مشاهدة النفس ما اتفق ودام وثبت دائماً والبرهان على ذلك يا نفس ما تشاهدينه في عالم الحسّ فان اشد الناس خوفاً وجزعاً واستكانة (٣) من كان في نعيم ثم عدمه وانتقل الى الشقاء فهناك مقاساة الاختلاف

---

(١) الوهم في القاموس خطران القلب اومرجوح طرفي المتردّد فيه · وهو عبارة عما يقع في الحيوان من جنس المعرفة من غير سبب موضوع للعلم · وهو اضعف من الظن · ومعرفتهما تتوقف على معرفة حكم القلب · وذلك ان القلب ان كان جازماً بحكم الشيء ايجاباً او سلباً ولم يطابق كان جهلاً · وان طابق ولم يكن حكمة بدليل كان تقليداً · وان كان بدليل موجب عقلي اوحسي اومركب منهما كان علماً · وان لم يكن القلب جازماً · فان استوى الطرفان كان شكاً · والا كان الراجح ظناً والمرجوح وهماً

وكثيراً ما يستعمل الوهم في الظن الفاسد استعمال العلم في الظن الغالب · والفرق بين الموهوم والمتوقع · ان الموهوم نادر الوقوع · والمتوقع كثير الوقوع ·

(٢) من احدّ اليه النظر اذا بالغ في النظر اليه · (٣) اي ذلاً وبخعاً

والتغيّر . وان انسانًا نشأ في العذاب واعتاده فهو لا يعرف سواه ولن يلفى جزعًا خائفًا كالذي كان في النعيم وانتقل الى الشقاء . فقد تبين يا نفس ان العذاب هو الاختلاف والتغير وان النعيم هو الوحدة (١) والاتفاق الدائم . فان اردت يا نفس الراحة من العذاب فانتقلي من عالم الاختلاف والتغير الى عالم الوحدة والدوام والبقاء .

يا نفس ان التجار لا يظهرون بضائعهم ويزينونها لتراها العميان لكن ليراها ذوو الابصار الصحيحة . وكذلك القصاص والمتكلمون انما يتكلمون على قوارع الطريق لا لتسمعهم الصمّ وانما ليسمعهم ذوو الاذان السامعة الصحيحة . وكذلك الحكماء لا ينطقون بالحكمة ويشيرون الى المعاني السامية للنفوس السالكة في رتبة الموت . وانما يؤمّون بالحكمة النفوس السالكة في رتبة الحياة . وهي نفوس راغبة في المعاني وواردة اليها . لكن تلك النفوس السالكة في رتبة الموت هي نفوس غير راغبة فى المعـاني وصادرة عنها . وزاهدة فيها . فتأملي يا نفس هذا المعنى واعلمي انه شتان بين الوارد والصادر وبين الراغب والزاهد .

يا نفس ان كرهت العقاب فاتقي الزلل واحذريه وتجنبي الخطأ واطرحيه . وان آثرت الثواب فتهدّي الى الاصابة واعلمي ان مقـاصد

---

(١) الوحدة كون الشيء واحدًا اي بحيث لا ينقسم . والوحدة انواع . فهي في النوع تسمى مماثلة . وفي الجنس مشاكلة . وفي الكيف مشابهة . وفي الكم مساواة . وفي الوضع موازاة ومحاذاة . وفي الاطراق مطابقة . وفي النسبة مناسبة . وتطلق ويراد بها عدم التجزئة والانقسام

النفس في جميع معانيها تكون على حالين هما الخطأ والاصابة · وانه لن يخلو الخطأ من ثمر العقاب والخسران · ولن تخلو الاصابة من ثمر الثواب والربح · فان لم يكن ذلك كذلك يكن الخطأ ثمره الثواب · والاصابة ثمرها العقاب · وهذا ما لا يسوغ في العقل ولا يوجد في مشاهدة الحس · فقد وجب ضرورة ان يكون الخطأ ثمره العقاب بالحقيقة · وان تكون الاصابة ثمرها الصواب

يا نفس انك بانضيافك الى العقل · يقوي ضوءك فتدركين الاصابة ببصرك · وبانحرافك عن العقل وانضيافك الى الحس · تعدمين النور العقلي فتظلمين وتضعفين وتعثرين بالخطا بعماك وظلمتك

يانفس ان الطبيب لن يأمر العليل ان يأكل ما يضره · فان اطاعه اصاب وانتجت له الاصابه البرء والصحة وان عصاه اخطأ وانتج له الخطأ السقم والالم ·

يا نفس ان اردت ان تعرفي حال النفس بعد مفارقتها الجسد فانظري الى حالها وهي ملازمة له · فان كانت موافقة للاصابة فانه بعد مفارقتها الجسد لن تؤديها عادتها بالاصابة الا الى الاصابة وحسن العاقبة والثواب · وان كانت مقارنة للخطأ فان عادتها لن تؤديها الا الى الخطأ · والخطأ ينتج لها العقاب والعمى وسوء المنقلب

الفصل العاشر

يا نفس اني لأمثل حالك فيطول عجبي منه · تظهرين بالقول انك

زاهدة (١) في الشقاء والاحزان · وانت بالفعل راغبة فيهما وملازمة لهما
وغالبة لاهلها عليهما · وتظهرين بالقول انك راغبة في النعيم والسرور
وانت بالفعل زاهدة فيهما ومنحرفة عن الطريق اليهما · وهذا يا نفس فعل
مختلف والفعل المختلف لا يصدر الا عن فاعل ليس بفرد ولا متوحد بل
فيه اشتراك وتركيب لأن الشيء الفرد لا يفعل الا فعلاً فرداً لا اختلاف فيه ·
والشيء المختلط لا يفعل الا فعلاً مختلطاً · فقد تبين الآن يا نفس انك
لم تمحصي من غشك ولم تتهذبي من سوء مكتسباتك التى اكتسبتيها في
سالفات ادوارك · فقد تبقى فيك جرب وصدأ وهو السبب في اختلاف
ما يظهر من فعلك · فان كان الصداء فيك بالعرض السريع الزوال فبادريه
بالجلاء والصقال قبل ان يستحكم في ذاتك · وان كان هذا الصداء
فيك مستحكما باقيا · فعودي الى النار لتسبكي فيها · وتخرجي منها صافية
محضة · فان المرأة ذات النقب (٢) والصداء الثابت لا ينجح فيها الجلاء ولا
ينقلع صدأها الا بالنار والسبك · فاذا انت محصت يا نفس من جربك
وصداءك فحينئذ يتوحد فعلك بغير اشتراك ولا نفاق فتكونين اما راغبة
في الشقاق والاحزان زاهدة في النعيم والسرور بالحقيقة واما راغبة في
النعيم والسرور زاهدة في الشقاء والاحزان بالحقيقة · فاعملي
يا نفس بهذه الوصية لتوفقي للسعادة وترشدي الى النجاة. وتهدي الى الاصابة
فتستثمري جميل الثواب وحسن العاقبة ·

---

(١) زهد فيه وعنه اذا رغب عنه وتركه (٢) النقب الجرب او القطع المتفرقة
منه · كناية عن البقع والكلف التي توجد في المرآة القديمة

يا نفس تيقني اولا ان الموت الطبيعي ليس هو شيئاً غير غيبة النفس عن الجسد. فاذا تقرّر هذا في علمك فتأملي ان الرجل الحكيم العالم العاقل. هو حكيم عالم عند حضوره. وهو حكيم عالم عند مغيبه معه تنتقل حكمته وعلمه اينما توجه واينما سلك. فتنبهي يا نفس لهذا المعني وتيقنى ايضاً بان غارس شجرة الخير وغارس شجرة الشرّ بينهما بون عظيم واختلاف كبير في نتيجتهما لان شجرة الخير ليس ثمرها الا خيرا وشجرة الشر ليس ثمرها الا شرا فان لم يكن ذلك كذلك فشجرة الخير اذاً ثمرها شراً وشجرة الشر ثمرها خيرا. فان كان هذا وكانت الشجرة ثمرها غير مافي طبعها. فينبغي لغارس شجرة الكرم ان يستثمر منها البلوط ولغارس شجرة البلوط ان يستثمر منها العنب ولسنا نرى شجرة ثمرها غير مافي طبعها وغير ماهي معروفة به منذ بدء العالم. لان شجرة الكرم ليس ثمرها الا عنبا وشجرة البلوط ليس ثمرها الا بلوطاً فكيف يكون يانفس؟ غارس شجرة الخير يستثمر غير الخير. وغارس شجرة الشر يستثمر غير الشر؟ فقد اتضح ضرورة وتبين حساً وعقلاً ان الشيء لا يلد الاّ من نوعه وشكله ولا يلد الا مثله. والا فمتى رأيت يا نفس حماراً قد انتج انساناً؟ او انساناً قد ولد فرساً؟ فان كان يا نفس قد اتضح لك هذه المعاني فاطلبي العلم بحقائق الاشياء وافعلى الخير واغرسي شجرته لينجلي بصرك فتستثمري من علمك علماً. ومن فعلك الخير خيراً ومن استبصارك بصيرة ونوراً وهداية فتسكنين بذلك المحلّ الافضل وتستكملين السعادة الدائمة والافراح الابدية

يا نفس تمثلى ولو بالوهم مفارقة الحواس الخمس ثم انظري بعد ذلك

هل انت مدركة شيئاً غير ما كنت مدركته بالحواس فان وجدت ادراك شيء غير ما كنت مشاهدة له بالحواس · فقد بان رجوعك الى عقلك وطبعك وبلوغك اربك · وذلك ان العقل اذا اراد ادراك شيء ما افرده عما سواه وانتزعه مما قارنه · ثم ادركه ادراكا فرداً بذاته الفردة · لانه كما ان الحس لا يدرك شيئاً فرداً · فكذلك العقل لا يدرك شيئاً مركباً (١) ولا يعلمه علماً عقلياً يقينياً دون ان يفرد معانيه ويميزها · وينتزع كل جنس منها فيجعله فرداً بذاته وحينئذ يدرك معانيه كلها على الانفراد · فقد تبين ان الحس الذى هو الشيء المركب يدرك المركبات · وان العقل الذى هو الفرد البسيط يدرك الاشياء البسيطة الفردة فتأملى (٢) يا نفس كيف ان

---

(١) المركب هو ما اريد بجزء لفظه الدلالة على جزء معناه · واعلم ان المركب التام المحتمل للصدق والكذب يسمى من حيث اشتماله على الحكم قضية · ومن حيث احتماله للصدق والكذب جزءا · ومن حيث افادة الحكم اخباراً · ومن حيث انه جزء من الدليل مقدمة · ومن حيث يطلب منه الدليل نتيجة · ومن حيث يقع في العلم ويُسال عنه مسألة · والذات واحدة · فاختلاف العبارات · باختلاف الاعتبارات · والفرق بين التركيب و التاليف ان التركيب ضم الاشياء مؤتلفة كانت اولا مرتبة الوضع اولا · والتاليف جمع الاشياء المتناسبة · من الالفة وهو حقيقة في الاجسام · ومجاز في الحروف · فالمركب اعم من المؤلف والمؤلف اعم من المرتب والمرتب اعم من المنضد · (٢) كثيراً ما يامر النفس بالتأمل ونحوه فيحسن بنا ان نفيض في مالهم من الاعتبار فيه وفي امثاله · فالتأمل استعمال الفكر · والتدبر تصرف القلب بالنظر فى الدلائل · والامر بالتدبر بغير فاء للسؤال في المقام و بالفاء يكون بمعنى التقرير والتحقيق لما بعده كذلك تأمل وفليتأمل · وقال بعضهم تامل بلا فاء اشارة الى الجواب القوي وبالفاء الى الجواب الضعيف وفليتامل الى الجواب الاضعف · ومعنى تامل : ان في هذا المحل دقه · ومعنى فتامل : في هذا المحل امر زائد على الدقة

العقل كلما جرى مع التركيب فارق الفردية وفارق ايضاً الادراك الفرديّ الذى هو ادراك الحق واللذة بالحق والعليم بالحق · وكلما رجع عنه نحو الى الوحدة وفارق التركيب والاشتراك ادرك الاشياء الفردة الابدية وعدم الاشياء المركبة الزمنية · فقد تبين من هذا الشرح ان حياة النفس في مفارقتها عالم الطبيعة وان موتها وطول عذابها في اللبوث فيه

الفصل الحادى عشر

يانفس ان هذا عالم الطبيعة قد وردته واختبرته · فهل اختبرت منه شيئاً غير مبصرات موحشة (١) ومسموعات مفزعة واطعمة مضجرة مؤلمة

بتفصيل : ومعنى فليتامل · هكذا مع زيادة بناءً علي ان كثرة الحروف تدل على كثرة المعنى · ويحسن بنا التطرق الى اصطلاحات لهم من هذا القبيل كقولهم : (وفيه بحثٌ) معناه اعم من ان يكون في هذا المقام تحقيق او فساد فيحمل على المناسب للمحل (وفيه نظر) يستعمل في لزوم الفساد · واذا كان السوآل اقوى يقال (ولقائلٍ) فجوابه (اقول او نقول) اي اقول انا باعانة سائر العلماء · واذا كان ضعيفاً (فان قيل) وجوابه (اجيب او يقال) واذا كان اضعف يقال (لايقال) وجوابه (لانا نقول) واذا كان قوياً يقال (فان قلت) وجوابه (قلنا او قلت) · قيل فان قلت (بالفاء) سوال عن القريب (وبالواو) سوال عن البعيد · (وقيل) فيما فيه اختلاف (والاظهر) فيما قوي الخلاف · (كالاصح) والا « فالمشهور » (كالصحيح) « وفي الجملة » يستعمل في الاجمال (وبالجملة) في نتيجة التفصيل (ومحصل الكلام) اجمال بعد تفصيل (وحاصل الكلام) تفصيل بعد اجمال

(وفيه ما فيه) اي تامل فيه حتى يحصل ما فيه او ما ثبت فيه من الخلل والضعف حاصل فيه ·

(١) الموحشة ذات الوحشة والوحشة الهم والخلوة والانقطاع وبعد القلوب عن المودة والارض المستوحشة ايضاً

وروائح كريهة منتنة · وملموسات نجسة دنسة · فلما وردت الى هـذه
الاشياء اغتبطت بها اعجابا وهوى وعشقا وجوىً · ونسيت معانيك الذاتية
الشريفة فلما عرفت خطأك وزللك اردت ان تشركي معك في خطأك غيرك
وتحيلي الذنب على سواك · هيهات يا نفس ليس الذنب الا للذى اذنب
وجنى وليس الخطأ الا للذى خطيء · فتلافي يا نفس خطأك وزللك
فانك كما وقعت فيما تكرهين بهواك وشهوتك · فكذلك تخلصي منه
بهواك وشهوتك ·

يا نفس ان كل مكروه اصابك وانت في عالم الكون فأيقني (١) ان
سببه واصله هو من قبلك ومن حيث خطأك وزللك · ومتى تذكرت
ذلك ذكرته وعرفته · ومتى ورد عليك وارد من المكاره ولم تعرفي سببه
واصله فلا تحيليه على غيرك · بل اجعلي سببه واصله خطأك القديم الذى
الذى قد نسيته · لان من دخل دار المصائب واتاها واصابته مصيبة فان
ذلك بخطئته اذ اتى دار المصائب فدخلها وقد كان في سعة عن دخولها ·
واعظم من هذا كله انه قد حذّر منها فلم يحذر وخوف منها فلم يخف ونصح
فلم يقبل واتبع هواه وشهوته

يا نفس اما كنتِ وانتِ خارج السجن تبصرين الاشيـاء و تسمعين
الاخبار فلما دخلتِ الى السجن خفي عنك ذلك كله وصرت مسجونـة
اسيرة تتشوقين الى خبر تسمعينه · وعلم تدركينه وتبصرينه · فما الذى

---

(١) الايقان بالشيء هو العلم بحقيقته بعد النظر والاستدلال ولذلك لا يوصف
الله تعالى باليقين

حملك على دخولك السجن اليس هذا كله بخطئك

يا نفس قد كنت وانت في عالم الوحدة · غنية مبصرة عالمة · تبصرين العوالم كلها منضدة بين يديك وهي كلها صافية نيرة مضية · وفي اسلفها عالم الكون والفساد اسود مظلم وهو يلوح منها كما يلوح الحجر الاسود في الماء الصافي · فراق لك ان تدخليه لتختبريه وتستطلعي طلعه فلما عزمت على ذلك خرجت عن رتبة الوحدة ونزلت الى رتبة الاشتراك · ومضيت مع الحركة تطلبين ماهويته فصرت الى عالم الكون والفساد · وكان مثلك في خروجك من عالم الوحدة ورغبتك وشرهك في عالم المركبات · كالطائر القاصد الفخ المنصوب ليسلبه حبةً فسلبه الفخ المنصوب مهجته · او كالسمكة التى في الماء ارادت ان تبلع طعم الصياد فبلعها الصيـاد · فانت يا نفس شابهتِ بنورك وصفائك عالم الظلمة ومازجته فغشي نورك واظلمك واعماك · واخفى عنك جميع معلوماتك وما كنت تبصرينه · وبقيت اسيرة رهينة · يا نفس هذا كله بخطئك القديم · ولكن متى آثرت الرجوع يا نفس فاقصدى الاشياء الضارّة لكِ التي وجدت في الطبيعة فانسلخي عنها يانفس وانقي منها فان نقاك منها هو سبب خلاصك ورجوعك · واني لاجمع لك هذه الاشياء (١) كلها في معنى واحد ليسهل عليك علمها وهو التلذذ الجسداني فكل ماوجدته لذيذًا بالجسد فاتركيه واحذريه · وكل ما وجدته لذيذًا بالعقل فخذيه واستعمليه ·

يا نفس ان النار تطفأ ونار الشهوة لا تطفأ والاوجاع تعرض للبدن

---

(١) اي الضارة لكِ

فتزول ويستراح منها واوجاع الشهوة لا يستراح منها . الاّ ان يداويها العقل ودواؤها تركها واقتناء الصبر عنها لان حياة الشهوة مواصلتها وموتها مقاطعتها والصبر عنها . وينبغي يا نفس ان تعلمي ان شهوات الدنيا ليست كلها في الماكل والمشرب بل فيها ماهو خارج عن ذلك . ولكن شهوة الماكل والمشرب اضرّها وذلك ان الجسد لا يشتهي الاشربة الا بعد ان يشبع ولا يشتهي الزنا الا بعد ان يشبع وكذلك الكسوة وجميع المقتنيات الحاملة للنفس على ركوب المهالك والمخاوف المخرجة لها الى الضعة والخساسة والدناءة

يانفس اني قد بصّرتك فلا تتعامي وقد صوّبتك فلا تتخطئي فتعظم حسرتك ويتضاعف عذابك باتباعك هواك وشهواتك

يا نفس ان الاعمى اذا مشى ووقع في جب . كان معذورًا عند نفسه وعند غيره . فاما البصير اذا اتى جبًا وهو يبصره فألقى نفسه فيه بهواه وشهوته فأي عذر له عند نفسه وعند غيره ؟

يا نفس ما اعظم حسرة الواقع في المكروه بعلمٍ وبصيرةٍ . وما اشدّ عذابه . ومعنى شدّة عذابه علمه ومعرفته وفطنته لما فعل بنفسه نخذي يا نفس هذه الوصايا واعملي بها توفقي للسعادة وتفوزي بالنجاة

يا نفس ان من عف عن شهوات الدنيا . عفت مصائب الدنيا عنه وخرج من الدنيا سالمًا رابحًا وربحه قربه من الله . ومن اسرع الى شهوات الدنيا اسرعت مصائب الدنيا اليه . وخرج من الدنيا سقيما خاسرا وخسرانه بعده من الله . يا نفس بهذا الضرب من التجارة إتجري وبمثل هذه المعاني

تدبري . لتفوزي بحسن التوفيق والسداد ويجذبك النور والتهدّي الى سبيل الرشاد

الفصل الثاني عشر

يا نفس ان من غرس شجرة الصبر اثمرت له ثمر الظفر وفاز بالغلبة وان اسعد السعداء من سما الى شيء فظفر به ومن غرس شجرة الفشل اثمرت له ثمر الحرمان وان اشقى الاشقياء من سما الى شيء فحرمه

يانفس اقترني في مطلوباتك كلها بالصبر فان الصبر خلق النفس الشريفة وهو الذى به يكتسب الخير وتدرك السعادة . واني ممثل لك معاني عديدة فتحققي بها . ان النفس هي الطالب وان الخير هو المطلوب والصبر هو المعنى الذى ينبغي ان يظفر به الطالب . والتوفيق هو المعنى الذى هو الخير والجود . فاذا اتصل الفعل من الطالب بالفعل من المطلوب . وجبت الوصلة وتم الانضياف . وانما مثلت لك هذا المعنى لتعلمي انه انما تنال الاشياء كلها بالصبر وان الخير لا ينال الا بالصبر

يا نفس ان مرارة الصبر تثمر ثمر الحلاوة والراحة . وحلاوة الفشل تثمر ثمر المرارة والتعب

يا نفس اقتني الصبر والتعب في عبادة الله الواحد . فهو هناءٌ لعيشك وغناءٌ (١) لراحتك وصفاء لحياتك واحذري ان يحوطك الملل

(١) الغنى الكفاية واليسار وقال بعضهم غنى الدنيا وهو الكفاية مقصور . وغناء الآخرة وهو السلامة ممدود

والضجر فتخرجي عن حد الوحدانية وتكثر آلهتك ومن كثرت آلهته كثرت خدمته واشتد تعبه ونصبه وتوافرت همومه وتشعثت (١) نفسه فهلك

يانفس ان الضجر والملل مقرونان بالنفوس البهيمية · والصبر والثبات مقرونان بالنفوس التامة الانسانية · فلا يخرجك الضجر والملل عن حد الصبر فتسيري الى الآلهة ثم تنقسمي وتشقي بعبادتهم وخدمتهم فتضجي وتحلي وينطفئ نورك وتضعف قوتك ويذهب شرفك ويزول سلطانك وهذا هو موتك فاحذريه وانحرفي عنه وعن معانيه

يا نفس ينبغي ان تقفي على معرفة ذاتك وما لها من المعاني والصور ولا تتوهمي ان خارج ذاتك شيئاً مما يجب ان تطلبي علمه · بل معلوماتك كلها هي معك وفيك فلا تتوهي بطلبتك ماهو معك فان كثيرا من الناس يكون معه الشيء وينسى انه معه فيطلبه خارجا عن ذاته ويتوه ثم ياتيه فكره ويذكره فيجده مع نفسه لا خارجا عنها · فتيقني يا نفس ان لا شيء (٢) من الاشياء المعلومة الموجودة وجوداً دائماً ابدياً خارج عنك البتة · وانما الشيء الخارج عنك هو ما امتاز من كدرك وثقلك في

(١) اي تفرقت وفي نسخة وتشجبت نفسه فهلك في وجوه الشجب

(٢) الشيء لغة ما يصح ان يعلم ويخبر عنه فيشمل الموجود والمعدوم ممكناً او محالاً · واصطلاحا · خاص بالموجود خارجياً كان او ذهنياً والشيء اعم العام كما ان الله اخص الخاص · وهو مذكر يطلق على المذكر والمؤنث · ويقع على الواجب والممكن والممتنع وهو في الاصل مصدر شاء اطلق تارة بمعنى اسم الفاعل نحو اي شيء اكبر شهادة قل الله · وبمعنى اسم المفعول نحو ان الله على كل شيء قدير

الابتداء الاول وهو الشيء القابل للاعراض الجاري مع الكون ولا شيء آخر يوجد غير هذا ولا يخرج عنه البتة · فارجعي يا نفس الى ذاتك واطلبي جميع معلوماتك فيك لا خارجاً عنك · ولا تخرجي عن ذاتك وترجعي الى كدركِ وتطلبي علم ما فيه فتقعي في تيار الاختلاف وتتلاعب بك الاغراض كما يتلاعب البحر الهائج بما فيه من السفن · ويتم آخر امرك ان لا تكتسبي منه خيرا ولا تحصلي منه على علمٍ · فتحققي هذا القول وتدبريه ولا تنسي الشيء الذى هو معك · وتمضي تطلبينه في موضعٍ آخر · فان ما ينبغي ان تعلمه النفس هو في النفس فلا هو عاذب عنها ولا هي تغيّبه (١) بل انما يعرض للحسّ الذى هو الجسد

يا نفس ان اداة الصانع اذا خلقت (٢) او اذا كانت مثلمة ولا احد يستخدمها · فما اقلّ منفعتها له وجدواها عليه · ولتركها اولى من استعمالها · واستبدالها اصلح من الشح بها والحرص عليها

يا نفس انه ليجب على الصانع متى وجد الاداة المحمودة ان يعمل بها ويكد ويحرص على الاكتساب وجمع الاموال · وان الصانع اذا كثر ماله استغنى عن العمل · واذا استغنى عن العمل باع الاداة بالثمن البخس واستراح من الكد والتعب

يا نفس تلطفي في اتخاذ الاداة المحمودة واذا وجدتها فاحسني سياستها

---

(١) اي ان النفس ليست هي التي تبعده وتواريه بل الجسد يحول احيانا بينهما ويكون السبب في ذلك

(٢) من خلق الثوب اذا بلي

بالعدل · واستأنفي الكد والاكتساب والاقتناء · فاذا نلت الغنى وكثر مالك فينبغي ان تبيعي اداتك باوكس ثمن وفوزي بما اكتسبته وانصرفي من محل الاكتساب

يا نفس افهمي هذا بصحة منك فان العليل (١) لا يذوق حلاوة العسل ولا يجد له لذة بل الصحيح هو الذى يدرك لذته ويذوق حلاوته· وكذلك ليس يتلذ بكلام الحق الا من يدرك ذوقه ويفطن لمعانيه بصحة من عقله · فاما العقل المريض بالجهل والنسيان والهمّ والحزن والحذر والخوف (٢) وهذه هي الامراض العقلية · فان مرضه يعوقه ويمنعه عن ذوق الكلام والفطنة لمعانيه · فتمثلي يا نفس هذه الوصية وأيقني بحقيقتها

---

(١) وفي بعض النسخ فان العليل بالمرة الصفراء

(٢) الخوف غم يلحق لتوقع مكروه وكذا الهم واما الحزن فهو غم يلحق من فوات نافع او حصول ضار · والخوف علة المتوقع والحزن علة الواقع · والخشيـة اشد من الخوف · ولذلك خصت الخشية بالله · في قوله ويخشون ربهم · والخشية تكون من عظم المخشي وان كان الخاشي قويًا · والخوف يكون من ضعف الخائف وان كان المخوف امرًا يسيرًا · واصل الخشية خوف مع تعظيم ولذلك خص بها العلماء في قوله · انما يخشى الله من عبـاده العلماء · واذا قلت الشيء مخوف كان اخبارًا عما حصل منه الخوف كقولك الطريق مخوف · واذا قلت الشيء مخيف ·كان اخبارًا عما يتولد منه الخوف كقولك مريض مخيف اي يتولد الخوف لمن شاهده · والحذر شدة الخوف · والرهبة خوف معه تحرز · والرعب الفزع

الفصل الثالث عشر

يا نفس ينبغي ان تعلمي وتتيقني ان حد اللذة بالحقيقة هوما لا يمل · ومتى طلبت النفس في عالم الكون لذة فقد سمت الى غير موجود · وطلبت ما لا يمكن · والدليل البين على هذا ان جميع ما تشافهه النفس في هذه الدنيا مملول · والمملول لا ينبغي ان يسمى لذة اذ كان حد اللذة ما لا يمل · او ما تنظرين يا نفس الى اكثر اهل الدنيا كيف يبحثون في طلب اللذات و يتوهمون انها موجودة في الدنيا · وليست هي بموجودة · فتيقني يا نفس ان الناس يطلبون في الدنيا ما ليس فيها

يا نفس تأملي نفوس الناس كيف ترد الى معاني الدنيا كلها فتشافهها مشافهة ذائق مختبر ثم تصد عنها صدود ملول ضجر · وليس احد في هذه الدنيا براضٍ بمنزلته فيها بل ملول ضجر منها · وهذا من اوضح الدلائل على ان النفوس انما تبحث في هذا العالم وتطلب منزلة توآزي شرفها · وتضاهي معانيها · فلا تصيب ذلك · فهي مقبلة مدبرة في طلب ماترتضيه ومتى حصل في النفس حقيقة هذا الشرح اقتنت اليأس وازالت الطمع من مطالبة اللذات وهي في عالم الكون والفساد

يا نفس كيف يوجد في الدنيا لذة وكل رتبة تقف النفس عليها في الدنيا تحتاج الى الصبر والصبر مر المذاق · وكل شيء اذا خالطته المرارة يصير مراً · ومتى نفرت النفس من الصبر والتأدب به ثم ذهبت تطلب المعنى المرضي لها · حصلت على التوهان · تذوق هذا وتتركه · وتواصل

هذا ثم تقطعه · وترغب في هذا ثم ترفضه · وهذا معنى قبيح وفعل خسيس وخلق دنيء · ومتى تأدبت النفس بالصبر على اي رتبة كانت من رتب الدنيا فقد اقترنت بها مرارة الصبر · وقد حصل من هذا الشرح كله · اما ان يكون الانسان تائهاً ذوّاقاً (١) فيحصل على رتبة الخساسة والدناءة · واما ان يرضى برتبة صالحة من رتب الدنيا مع الصبر عليها فيحصل على مقاساة المرارة مدة مقامه في عالم الطبيعة · ولأكل المرارة مع اكتساب الشرف والعز · خير من اكل الحلاوة مع اكتساب الخساسة والدناءة

يا نفس ان غرض الحق ومقتضى العقل ان تكون الاشياء على ترتيبها الطبيعي ثابتة · فاذا كانت كذلك فما احسنها واجملها واعدلها ! وذلك كالصانع الذى ينبغي له ان يكون هو الذى يستعمل الاداة لا الاداة مستعملة له · وكالفارس الذي ينبغي له ان يدبّر الفرس ويجريه ويروضه لا ان يكون الفرس يدبر الفارس · وكالسلطان الذى من الواجب ان يكون هو المدبر للرعية والسائس لها لا ان تكون الرعية هي تدبره وتسوسه · فاذا جرت هذه الاشياء على كيانها الطبيعي ظهر الحق والعدل الحسنان الجميلان · واذا انعكست بالضد والخلاف ظهر الشر والجور القبيحان الرديئان ·

يا نفس اذا كان الجسد بالنفس يحيا وبها يبصر ويسمع ويشم ويذوق ويلمس · فقد وجب ضرورة الاقرار بان الجسد آلة النفس ومن القبيح ان تكون الآلة تدبر الصانع وتستعبده · فان هو الصانع المدبر لا الآلة · لان

---

(١) الذوّاق الكثير الذوق والملول

الجاهل اذا اتخذ آلة اشتغل بزينتها و تزويقها و ترفيهها عن استعمالها والاكتساب بها . ثم يحصل على عبادته لها . فحينئذٍ ينقلب الحق باطلا ويصير العدل جورًا . والحسن الجميل قبيحًا سمجًا . اذ يصير الحي البصير السميع العاقل الشريف عبدًا للميت الاعمى الجاهل الاصم الخسيس

يا نفس ان زمانًا تدبر فيه الرعية السلطان لزمان معكوس وقد وجبت الهلكة على الجميع . واذا وجب ان يكون الفرس يدبر الفارس فقد وجب هلاكهما جميعًا . واذا وجب ان الجسد يدبر النفس فقد هلكا جميعًا .

يا نفس ان السياسة هي حالةٌ لا تصلح للمخلوق البتة . وانما هي محنة يمتحن بها الناس . فاذا امتحن بها العاقل الرشيد تبين من نفسه الضعف عن القيام بتدبيرها فيخضع ويذل و يرغب الى سائس الكل وعلته الفائضة بالخير كله على الطالبين اليه فيكسب نفسه حينئذ بانضيافها الى الخير خيرًا وبصيرةً ونورًا . فتهتدي الى حسن السيرة . والقصد الى وجه الاصابة والنجاة من الخطاء بحسن التوفيق . فتكون هذه النفس تشرب من ينبوع الخير والعدل ثم تفيض بما فيها على من تشتمله سياستها فبذلك يكون ظهور العدل والخير وسعادة السائس والمسوس . واما الجاهل فانه اذا امتحن بالسياسة سرّه ذلك وابهجه ورأى في قوته وطبعه ما يقوم بها و باضعافها . فحينئذ يتهاون بها و بتدبيرها و ينصرف بكل قوته الى التلذذ والتنعم المثمرين ثمر الجهل والعمى والزلل والخطأ . فتكون تلك النفس تشرب من ينبوع الشر والجور . ثم تفيض بما فيها على من هو تحت سياستها . فيكون بذلك

ظهور الشر والجور وهلكة السائس والمسوس

يا نفس اذا دخلت عالم الاحلام فلا تغتبطي به ولا بما تشاهدين فيه . والا صرت عند اليقظة ضحكة وسخرية وعبرة

يا نفس ان عالم الكون والفساد هو عالم الاحلام فينبغي ان تتمثلي ان النائم الحالم فيه انما هو نائم نوماً ثانياً . وحالم حلماً ثانياً . فاذا استيقظ فانما هو نائم انتبه من نومه العرضي ورجع الى نومه الطبيعي . كرجل ابيض اللون بالطبع عرض له الخجل فاحمر لونه ثم رجع بسرعة الى لونه الاول الطبيعي وكلا اللونين يؤول الى زوال . غير ان حمرة الخجل عرض سريع الزوال ويسمى حالا . واللون الطبيعي هو عرض ثابت يزول بزوال الطبع . فعلى هذا القياس النائم الحالم في عالم الطبيعة انما هو نائم ينام وحالم يحلم اعني انه في الدنيا نائم بالعرض الثابت . ثم يعرض له النوم بالعرض غير الثابت فكانه اكتسب نوماً على نوم . فاذا انتبه فانما انتبه من نوم الى نوم

يا نفس تيقني قولي هذا واعلمي انك انما انت في هذه الدنيا راقدة وان جميع ما انت مشاهدة له فيها انما هو احلام . وكما انه يعرض لك النوم الذى هو العرض السريع الزوال فتنامين وتحلمين فاذا زال ذلك العرض انسلخت من جميع الاشياء التي كنت مشاهدة لها انسلاخاً كلياً . ورجعت الى مشاهدة الاشياء الطبيعية التي هي العرض الثابت والتي انت بها اشد تحقيقاً منك بتلك الاشياء التي هي بالعرض السريع الزوال . وكذلك اذا استيقظت من نومك الطبيعي الذى هو الدنيا ورجعت الى اليقظة

الحقيقية التي هي عالم العقل فانما ترجعين الى معـان واشياء انت بها اشد تحقيقاً منك لما كنت مشاهدة له في رقدتك في عالم الطبيعة . ويكون معناك في هذا كمعناك الذي كان يعرض لك وانت في الدنيا اعني احلامك فيها .

الفصل الرابع عشر

يا نفس كما ان احلام الدنيا ليست بشيء حقيقي بالاضافة الى اسباب الدنيا و كذلك اسباب الدنيا ليست بشيء حقيقي الى عالم العقل الذى هو الحق . وانما شرحت لك يا نفس هذه المعاني لكي لا تغتبطي بما تشاهدين في عالم الحس فتكوني كالذي نام فرأى في منامه اشياء حسنة مبهجة . فأنس بها وركن اليها . فلما استيقظ حزن وجزع على مفارقته تلك الاشياء التي رآها في نومه نعماً ونعيماً . حتى انه لضعف عقله وقلة علمه يعود الى النوم تشوقاً منه الى الاشياء التي رآها في نومه . فاذا كان هذا يا نفس قد اتضح لكِ فاعلمي ان النفس اذا كانت في عالم الكون مشاهدة لنعيمه ولذاته وسروره . فانها معما تفـارقه تتألم لذلك اشد الالم وتجزع له اشد الجزع و بالحقيقة انما تعود اليه لتطلب تلك الاشياء التي كانت تشاهدها . شوقاً اليها واغتباطاً بها . ومتى كانت النفس في عالم الكون مشاهدة لبؤسه واحزانه وضيقته فانها معما تفارقه تجد لمفارقته اعظم اللذة واكمل السرور والراحة . وبالحقيقة انه لو راى نائم في منـامه كانه مشاهد أشياء وحشة سمجة مؤذية ثم استيقظ من نومه ذلك لوجد عند يقظته اعظم اللذة واتم السرور والراحة لمفارقته تلك الاشياء التى شاهدها في منامه ويكره ان

يعود الى النوم استيحاشاً وجزعاً من تلك المكاره التي رآها

يا نفس اذا اعطتك الدنيا شيئاً فلا تأخذيه منها . فانها انما تطربك لتضحكك قليلاً وتبكيكِ كثيراً . وهذا الفعل منها انمـا هو بالطبع لا بالتكلف ولن يقدر الشيء الطبيعي ان يكون غير ماهو . فاما النفس فانها حية عاقلة مميزة ولها الاستطاعة على ان تنخدع وان لا تنخدع فاذا رأت افعال المخادع لها ثم انحرفت عن خداعه وحذرته . فقد نجت من سوء العاقبة . واذا قبلت المخادعة والمماحلة (١) فانما ذلك بهواها وشهوتها . وكما انه يمكنها ان تقبل الخداع . فكذلك يمكنها ان لا تقبل ذلك . فهي مالكة الاستطاعة ان شاءت تحذرت من الهلكة . وان شاءت سلكتها . فانظري يا نفس الى هذه الوصايا وتدبري بها لتفوزي بالنجاة سائرةً الى دار البقاء ومحل النور والصفاء مع السادة الاخيار والائمة الابرار

يا نفس خذي من الاشياء ما عرفته وعرفه الجميع . وذري ما انكرته وانكره الجميع . وقد عرفت انتِ وعرف الجميع ان النار حارّة محرقة مضيئة . وان الماء بارد رطب سيال يروي من العطش . وقد عرفت ان كل الشيء اكثر من جزءه . وان المستوي غير المعوج . وقد عرفت ان الطوبى هو الحظّ الشريف السني . وان الويل هو الحظ الخسيس الدني . وقد علمتِ ان المرغوب فيه حبيب الراغب . وان المزهود فيه بغيض الزاهد . واذا كان فراق الحبيب شراً ومصيبةً . ففراق البغيض خيراً ونعمةً . وان كانت الدنيا مفارقة بالحقيقة وبغير شك فقد وجب الويل لمحبيها والطوبى لمن

(١) اي المكر والمكايدة

يبغضها ·

يا نفس انفصلي عن الطبيعة بوهمك · ثم انظري هل تجدين شيئاً غير ذاتك · فاذا نعتِ ذاتك فقولي هي الجوهر النوري المصور المتصور المحرك المتحرك الحي العاقل المميز الماجس (٢) بمعاني مراداته وارادته ذو الاخلاق الشريفة التي هي العدل والحكمة والجود والرحمة · فاذا نعتِ ذاتك بهذه المعاني · وكانت لك ذاتية طبعية فقد لزمك الاقرار بانك انت الشيء الحي اللطيف المدبر · وان سموت الى نعتِ غيركِ · فهل تجدين له نعتاً ذاتياً او صفة دون ان تستعيري له النعوت والصفات فتنعتينه بالمعاني التي هي لغيره · افليس قد لزمك الاقرار بان شيئاً لا نعت ذاتي له ولا صفة فهو شيء ميت موضوع للاستعمال بطبعه · او ما ينبغي ان تفهمي ان النفس انما تفعل في الطبيعة معاني ما يفعله العقل فيها · وانما العقل يفعل في النفس معاني ما تفعله العلة الاولى فيه · فمتى تمثلتِ يا نفس هذا المعنى الموجود في الحس وجدته انه الترتيب السلطاني السامي بعينيه ·

يا نفس تأملي هذا المثل فاما ان تضحكي منه تعجبا او تعتبرى وتوجسي منه مخافة · وهو ان طائرين من نوع واحد ربطا معاً في رباط واحد وتركا فيه فعظم عذابهما جميعاً وبعدت الراحة عنهما · فكان فرح كل واحد منهما وراحته انفصاله عن الآخر فاذا كان طائران هما من نوع واحد وشكل واحد · ربطا جميعاً فاعقبهما الربط شدةً واذاقهما انواع العذاب فكيف اذا ربطت اشياء مختلفة في الشكل والمعنى · كحمل ربط بذئب ·

(١) اي المحدث نفسه

او ثور ربط بسبع · او حي ربط بميت · ام هل يكون اشقى من عالم ربط بجاهل · يانفس ان كانت راحة الحمل ان ينحل من ربطه بالذئب · وراحة الثور ان ينحل من ربطه بالسبع · فانَّ راحة الحي ان ينحل من ربطه بالميت · وراحة العالم ان ينحل من ربطه بالجاهل · فان كنت يا نفس تقرين بحقيقة هذه المعاني فقد انجاث الغشاوة عن بصرك · وان كنت منكرة لذلك فاستعملي الادوية المزيلة العمى عن الابصار · والاخلاق المخرجة القلوب من الظلمات الى الانوار

يانفس تأَملي جوهرك واعتبريه واعلمي ان جوهر النفس جوهر عالي الشان رفيع الشرف لمناسبتها كل العوالم وحلولها بكل محل · وانها تنسب في بعض الاحيان الى عالم الطبيعة فتكون انسانية مشاهدة المحسوسات مشافهة المآكل والمشارب وجميع معاني الطبيعة · وتارة تنسب الى عالمها الخاص بها فتكون نفساً حيةً حساسة مستعملة الحركة ذات بحث وتأَمل واختيار وارادة فهذه المعاني هي معاني النفس وهي الحياة المنبثة في جميع ما احتوى عليه ملكوت النفس · وتارة تُنسب الى عالم العقل فتكون منتزعة الصور عن الهيولى · مدركة للبسائط الاولى مصوّرةً متصورةً مميزةً عاقلة لجميع المعاني الفردة البسيطة · وتارة تنسب الى عالم اللاهوت · فتكون بالفة الخير والجود آمرة بهما خلوًا (١) من الشر والجور ناهية عنهما · حكيمة الافعال متقنة الاعمال · ومن اوضح الدلائل على ان النفس تناسب العلة الاولى ما هو موجود في خلقها من انها تسمو الى الاحاطة بجميع الاشياء التى

(١) الخِلو الخالي والخالية للمذكر والمؤنث والجمع اخلاء

يحتوى عليها الملكوت الاعظم . فانها لن تلفى مستقرة راضية كل الرضى دون ان تبلغ العالم العقلي بجميع ما فيه . فحينئذ تلفى النفس غير طالبة شيئاً مستقرة راضية كل الرضى . ومن استعمل الاقرار في ذاته توجهت اليه حقيقة ذلك .

يا نفس ما يكون اشقى منك حالةً ولا اعظم حسرة . وقد اصبحت في محل الاعاجم . وحيدة فريدة تبثين لهم الشكوى بلفظك فلا يفهمونه ويبثون لك بلفظهم فلا تفهمينه . ومتى قارن الشيء خلافه فهو مهجوز موهوق مرهق (١) مشغول عن ذاته بذات غيره .

يا نفس ما اعظم حسراتك اذ تنطقين فلا تجدين سامعاً . وتبثين الشكوى فلا تجدين راحما . (٢) فيا ليت شعري ما ذا عزاء من اصبح غريباً عن وطنه . نائياً عن معدنه . بعيداً عن اصلة ونبعته . قد اوثقه واوبقه (٣) هواه فشارف استثمار زلله وخطاه . محمولا على مركب الغدر والغرور والشهوة . مقترنا بمذلة اللهو والتلذذ . ساهيا في طربه . موقوفاً على

---

(١) الموهوق ما جعل في عنقه الوهق وهو حبل في طرفيه انشوطة يطرح في عنق الدابة والانسان حتى يؤخذ به . والمرهق اسم مفعول من حمل على ما لا طاقة له فيه . لا قبل .

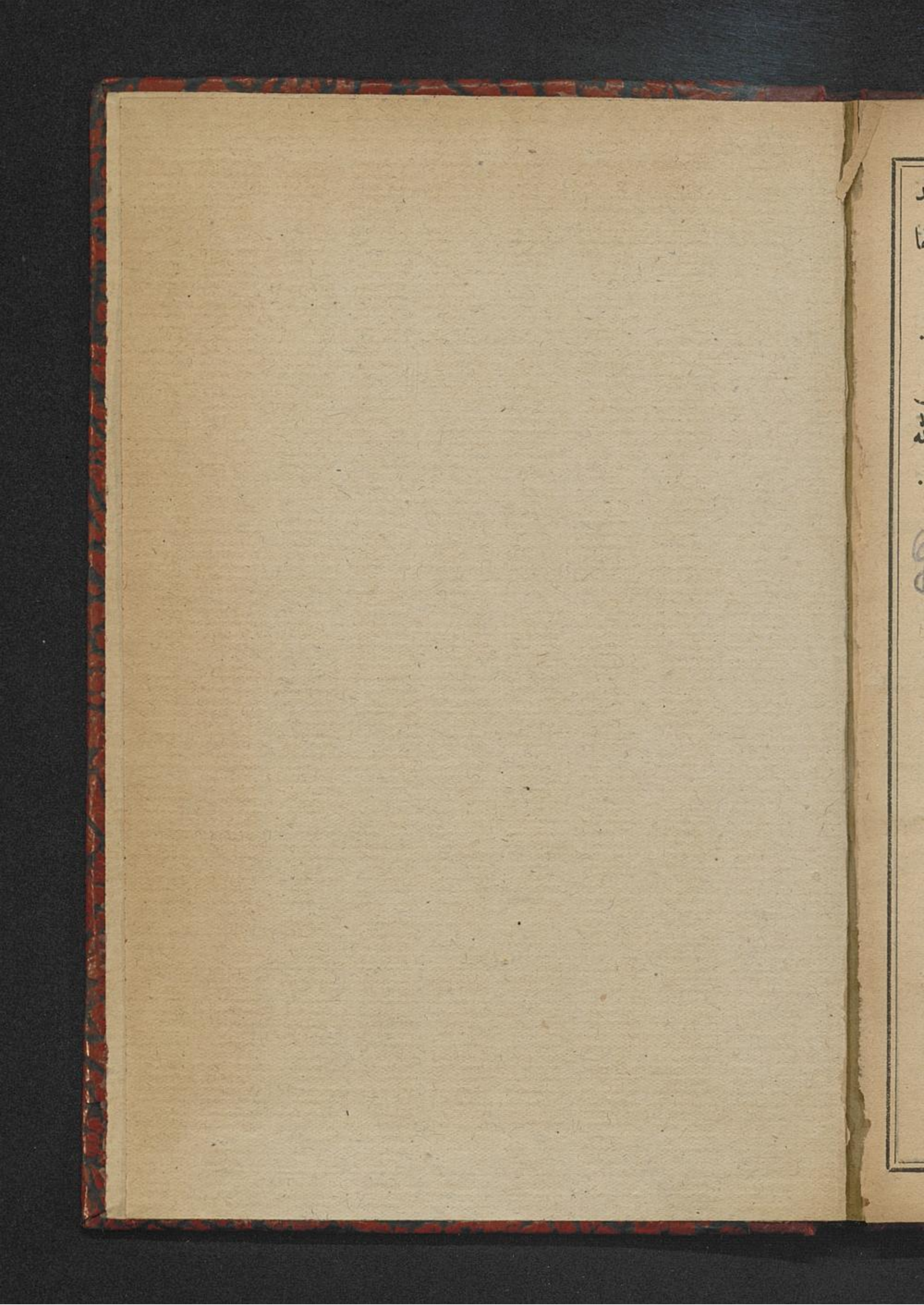
(٢) الرحمة هي حالة وجدانية تعرض غالبًا لمن به رقة القلب وتكون مبدا للانعطاف النفساني الذى هو مبدا الاحسان . يكون الرحمة هي ان يوصل اليك المسارّ . والرافة ان يدفع عنك المضار . فالرافة مبالغة في رحمة مخصوصة وهى رفع المكروه وازالة الضارّ . (٣) اوبقه حبسه واهلكه يقولون فلان يركب الموبقات اي المهالك .

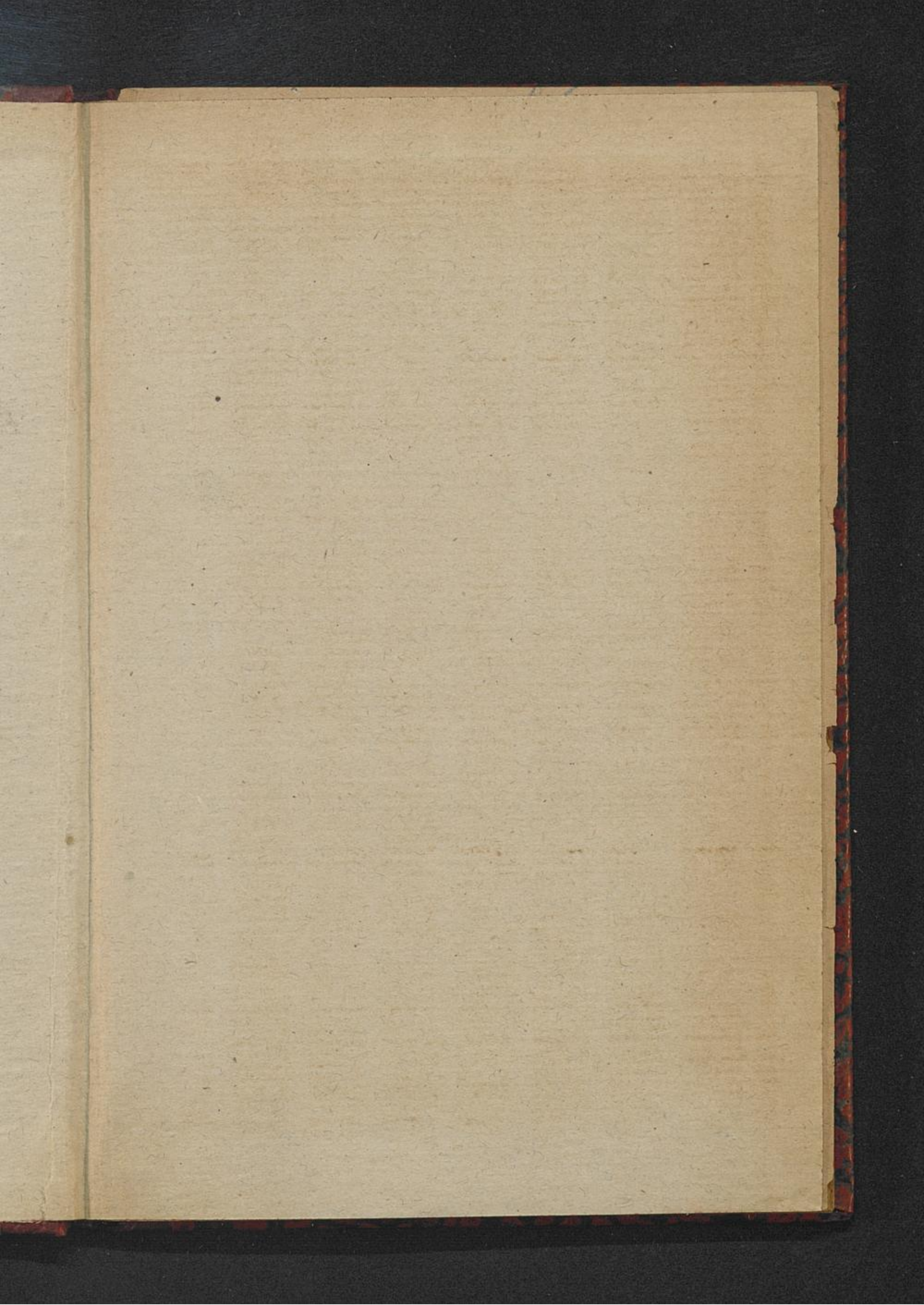
عطبه فليعلم الراكب في لجة البحر في المراكب المزخرفة الركيكة الرديئة عند عطبها وانحلالها انه انما صاحب من خذله واستسلم لمن غرّه وخدعه · فيا لها حسرةً ما اعظمها · حسرة المغرور بحبيب خائن وقرين خاذل

يا نفس من غرس طيباً اكل طيباً ومن غرس خبيثاً اكل خبيثاً · وان ثمرة العمل الصالح كأصلها وثمرة العمل الردي كاصلها · وقليل من العلم مع العمل به · انفع من كثير من العلم مع قلة العمل به · رحم الله من علم وعلَّم · وعمل وقوَّم ورشد وارشد وفهم وفهَّم ووصل واوصل · وكان وسيطاً بالحق ناطقاً بالصدق مقترناً بالتوقيف ·

نبذة بعض اغلاط مطبعية لا تخفى على القاري اللبيب

صحيفة	سطر	خطا	صواب
١١	٩	بقين	يقين
١١	١٣	مرضي	مرضي
١١	١٩	يستنبط	يستنبط
٢٢	١٧	استعداده	استعدادها
٢٤	٧	السياحة	السباحة
٢٥	٨	شافهتك	مشافهتك
٢٥	١٢	تنظفري	تظفري
٢٨	٢٠	او لطبع	والطبع
٣١	٦	لمه	علمه
٣٤	١٢	عرفة	عارفة
٣٨	٦	اليها	اليهما
..	..	امرضا	مرضاً
٤٦	١١	زللاً	زلل
٤٩	٩	اختلفت	اختلف
٥٢	٧	اكتسبتيها	اكتسبتها





Kitāb zaǧr an-nafs li-Hirmas al-Ḥakīm

Hermes <Trismegistus>

Bairūt, 1903

urn:nbn:de:hbz:5:1-199555